

نجيب محفوظ

حصاد القول

إختيار وتصنيف وتقديم

الدكتور رشيـد العنانى



نجيب محفوظ

حصاد القول

المجلس الأعلى للثقافة

نجيب محفوظ
حصاد القول

اختيار وتصنيف وتقديم

الدكتور : رشيد العنانى



١٩٩٧



الإشراف الفنى والغلاف : **محمود القاضى**

إلى الأستاذ نجيب محفوظ
أهدى بعض مـــا جنيت
مـن حصــــاد قولــه .
رشيد العنانى

تقـديم

اقتضتنى دراستى الشاملة لنجيب محفوظ التى صدرت باللغة الإنكليزية فى عنوان « البحث عن المعنى » فى سنة ١٩٩٣ أن أعيد قراءة النتاج الكامل لهذا الكاتب العظيم ، وهو نتاج غزير يقع فى ٣٣ رواية و ١٤ مجموعة قصصية إلى جانب عشرات الأحاديث الصحفية وحصيلة تبلغ المئات من عموده الأسبوعى فى جريدة « الأهرام » ، نتاج يتصاعد فى جبل من الأوراق يتجاوز الثلاثة عشر ألفا ويمتد عبر رقعة زمنية تقارب الستين عاماً .

وكنت أثناء قراءتى لهذا العمل أو ذاك كثيراً ما تستوقفنى عبارة هنا أو جملة هناك قد تكون جزءاً من السرد أو ترد على لسان إحدى الشخصيات أو تعبر بخاطرها ، عبارات قد لا تجاوز بضع كلمات وقد تمتد لنصف صفحة أو يزيد إلا أنها تشترك جميعا فى كونها لافتة ، آسرة للخاطر ، داعية العين والفكر لإعادة القراءة وتروِّى المعنى عبارات تتعدد دواعى الجذب فيها وتتباين تبايناً شديداً ، فقد تكون جمال الصياغة أو أصالة الصورة ، وقد تكون جسارة الفكرة وصراحة التعبير ، وقد تكون حدة السخرية وحلاوة الفكاهة ، وقد تكون عمق التأمل وغور البصيرة ، وقد تكون صادرة عن روحية شفافة وتصوف زاهد فى كل متعة أو عن حسيّة مقبلة على أفراح الحياة فى غير خُفْر ولا اقتصاد . فكنت أعمد إلى تلك العبارات المنثورة هنا وهناك فأضع أمامها علامة خاصة على هامش الكتاب حتى يتسنى لى الرجوع إليها متى شئت .

ثم بعد أن فرغت من القراءة والكتابة وخرج الكتاب إلى حيز الوجود وشرعت ألملم متعلقات البحث فأعيد كتباً إلى الرفوف وأرد أخرى إلى المكتبات وأدفع بالأوراق والبطاقات إلى مواضع التخزين طويل الأمد مفسحا المجال لما يستجد من دواعى البحث والكتابة . وبينما أنا فى ذلك فرض سؤال نفسه علىّ . ماذا أنا صانع بتلك

الدرر المحفوظية المطمورة فى بطون مناجمه العديدة والشاسعة الأرجاء ؟ أأتركها حيث هى راقدة حكراً على مكتشفها وعلى كل من يقوى على التنقيب عن عروقها بين طبقات ثلاث عشرة ألف صفحة ؟ أم أنتشلها وأعرض لئلاءها على عيون الملأ ؟ .

ساعدنى فى حسم الجواب على السؤال أن اللغات الكبرى الحديثة تحفل بما يعرف بـ « معاجم المقتبسات » أو Dictionaries of Quotations التى تبوّب بين صفحاتها مأثورات القول المستخلصة من أعمال الشعراء والأدباء والساسة والخطباء ... إلخ والتى تثرى لغاتها وتضيف إلى الوعى الجماعى للمتكلمين بها أو تحسن التعبير عنه فى صياغة تستعصى على النسيان . ولاينى القائمون على تصنيف هذه المعاجم بمراجعتها بين فترة وأخرى حذفا وإضافة ، بل صار بينهم من يتخصص فى وضع معاجم مقتبسات تقتصر على فترة زمنية بعينها ولطالما أسفت أن لغتنا العربية الحديثة تخلو من مثل هذه الظاهرة النافعة المتعة معاً على كثرة ما يعرض للمرء فيما يقرأ ويسمع ويعايش مما يستحق أن يُقتبس ويُسجل ويُرجع إليه عند الحاجة للاستشهاد أو التذكر أو الاعتبار أو الدلالة البليغة على حالة عامة أوخاصة أو المقارنة بين وضع فائت وآخر حاضر وما أشبه ذلك .

قلت لنفسى لابد لكل شىء من بداية ، وإن كان وضع معجم مقتبسات يستمد مادته من أدبنا العربى الحديث كله، ناهيك عن أدبنا برمته قديمه وحديثه ، جهدا لايقوم به فرد من الأفراد ، وإنما يلزمه فريق وتنسيق وتمويل مما دأبه فى ظروفنا العربية الراهنة أن يقعد بالهمم ويئد المشاريع فى مهودها ، فلا بأس أن يبتدىء الأمر بمعجم مكرّس لكاتب واحد هو بلامراء فى صدارة كتّاب العربية فى هذا القرن .

ولعله من الإنصاف أن أصارح القارىء ومن قد يعنّ له أن يضطلع بجهد مشابه مستقبلا أني ما كنت لأتصدى لهذا الأمر كفاية تطلب لذاتها ، فإنه لمن العسير على النفس وعلى حسن استخدام فسحة الزمن المتاحة لنا فى الحياة أن يعكف المرء شهورا متصلة على قراءة آلاف الصفحات لا لغرض إلا استنباط الدرر البلاغية منها ، وإنما نشأ الأمر كله كجهد إضافى على هامش دراستى لمجمل نتاج الكاتب . ولذلك فإنى أحث زملائى من الأدباء والباحثين الذين يعكفون لغرض أوآخر على قراءة أحد أعلام الكلمة فى أى مجال أن يستخلصوا من محصوله كل ما قد شاع على الألسن أو بين الأسطر أو ما هو خليق بأن يشيع ، لعل روافد الجهود تلك أن تصب ذات يوم فى

« معجم للمقتبسات العربية » يعين بشموليته كل قارىء وكل كاتب بعبارة بليغة أو حكمة صميمية فى كل ناحية من نواحى العطف والفعل البشريين .

لعله من المناسب عند هذا الحد أن أصف المنهج الذى اعتمدته فى الاختيار والتصنيف . يأتى فى البداية الاعتبارات البلاغية والجمالية والفكرية التى تضفى على عبارة ما عنصراً متميزاً يجعلها جديرة بالاقتباس . إلا أن هذه الاعتبارات جميعا يحكمها اعتبار آخر هو استقلالية العبارة ، بمعنى إمكان عزلها عن سياقها مع احتفاظها بفاعليتها البلاغية والمعنوية ، فليس مقصوداً أن يرجع القارىء إلى العبارة فى مصدرها إلا إن شاء ذلك لغرض يخصه . لذلك فإنى قد أكون استبعدت عبارات كنت أود إيرادها لو لا افتقادها لعامل الاستقلالية ، كما أنى فى حالات قليلة جداً أُتبع المقتبَس بتوضيح قصير يعين على فهمه فهما أفضل خارج سياقه . وسوف يجد القارىء فى سياق مختاراتى مصداق الزعم بأن فن الاقتباس فن جماعى بمعنى أن العبارة المتميزة لمعناها أو صياغتها أو كليهما تفرز نفسها تلقائيا من سياقها وتفرض نفسها على واعية القراء المختلفين زماناً ومكاناً بدون تدبير ، ذلك أن عدداً غير نزر من المقتبسات الواردة هنا سبق أن استعان بها نقاد محفوظ على تباين هوياتهم وأهوائهم فيما كتبوا عنه . على أن أى عملية اختيار لابد أن يبقى العنصر الشخصى أحد عناصرها الهامة ، فلست أشك فى أن تذوقى الخاص لأدب نجيب محفوظ وفهمى الخاص لدلالاته قد حكما قسماً كبيراً مما اخترت ومما أهملت ، وأن غيرى قد يختار ويهمل على نحو غير ما انتحيت .

وقد خطر لى فى البدء أن أتبع كل مقتبس باسم الشخصية التى يرد على لسانها أو بما يوضح أنه جزء من السرد الروائى إلخ . إلا أنى عزفت عن ذلك لأنى رأيته لا يخدم غرضا بعينه كما يتنافى مع مبدأ استقلالية العبارة المقتبسة عن سياقها المصدرى كما أنى وجدت أن معاجم المقتبسات الغربية لا تفعل ذلك أيضا .

بعد أن استخلصت المقتبسات من مصادرها على عدد هائل من البطاقات والقصاصات قمت بفرزها وتصنيفها موضوعياً فى تسعة عشر بابا وانتهجت ترتيباً زمنياً حسب تاريخ النشر داخل كل باب بادئا بالروايات ثم المجموعات القصصية ثم ، فى بعض الأبواب ، المقابلات الصحفية . فيجد القارىء داخل كل باب عنوان العمل متبوعاً بعدد قد يقل أو يكثر من المقتبسات المأخوذة منه ، وتتفاوت الأبواب تفاوتاً

كبيراً فى الطول كما أنه ليست كل الأعمال ممثلة بالضرورة فى كل الأبواب . فى حال الروايات اتبعت كل مقتبس برقم الفصل المأخوذ منه أو بعنوانه حسب الحال مستخدماً حرف «ف» رمزاً لكلمة « فصل » ، وقد وجدت أن هذا أسلم من إيراد أرقام الصفحات نظراً لتعدد الطبعات واختلاف ترقيماتها ، وفى الحالات القليلة التى لم يقسّم محفوظ فيها الرواية إلى فصول كما فى « الباقى من الزمن ساعة » و « قشتمر » . فقد اضطررت لإيراد رقم الصفحة متبوعاً برقم الطبعة . أما فى الأعمال ذات الفصول الطويلة التى يجزئها محفوظ إلى أقسام مرقمة فقد أوردت عنوان الفصل متبوعاً برقم القسم كما فى « الحرافيش » و « ليالى ألف ليلة » ، أما فى المجموعات القصصية فقد اكتفيت باتباع المقتبس بعنوان القصة الآتى منها .

وبعد فإنى أحب أن أتصوّر - وإن كان الحكم على ذلك ليس لى - أن فى هذه المختارات ضرباً من الدراسة الصامتة لفكر نجيب محفوظ وشواغله الأساسية ، وإن فى مطالعة عناوين بعض الأبواب المندرجة تحتها المقتبسات توضيحا لما أعنى ، فأى دارس لمحفوظ يعلم مبلغ أهمية مفاهيم من قبيل « الدين والعلم » ، « الزمن » ، « الموت » ، « العبث » ، « التصوف » ، « القضاء والقدر » فى رؤياه لحال الوجود البشرى . وقد كان إدراكى لذلك عنصراً إضافياً فى توجيه اختياراتى التى جاءت أصلا وكما أسلفت على هامش دراسة شاملة لحصاد الكاتب الإبداعى . وهكذا فإن أى دارس مستقبلاً يريد أن يبحث مثلا فى ثنائية « الدين والعلم » عند محفوظ أو فى تصوره لمشكلة « الزمن والموت » سيكون فى مقدوره أن يراجع فى لحظات وفى صورة تسلسلية شيئاً غير قليل من الطروحات اللفظية الهامة الواردة حول هذه القضايا فى أعمال الكاتب . ولست أزعم للحظة واحدة أن أى دراسة جادة تستطيع أن تستغنى بذلك عن مراجعة النصوص ووضع المقتبسات فى سياقاتها ، وإنما أعنى فقط أن تلك قد تكون نقطة بدء لتحريك الاهتمام وتوجيهه صوب هذا المبحث أو ذاك أو هذه الرواية أو تلك .

لعله من المناسب هنا أن أسوق بعض التدليل على ما أعنيه بقولى : إن مختاراتى من أعمال نجيب محفوظ تعد ضرباً من الدراسة الصامتة لفكر الكاتب وشواغله الأساسية . ولسوف أفعل ذلك بأن أنتقى بابين أو ثلاثة من تصنيفاتى للمقتبسات وأبسط فيها القول بعض الشىء موضحا موقع القضية التى يتناولها كل باب فى

مجمل أعمال الكاتب ومشيراً إلى مغزى بعض المقتبسات المختارة فى ذلك السياق . وقد وقع اختيارى بدءاً على بابى « فى الحياة » و « فى الموت » مثالاً .

* * *

إذا كانت « الحياة » و « الموت » هما القوسين اللذين بينهما ينحصر وجودنا كأفراد ، فإن وجودنا كنوع بشرى لا يعرف أقواسا ولا انحصارا ، فالحياة ، موجودة من قبلنا ومن بعدنا ، لا تعرف لها بداية ولا ترتقب لها نهاية إلا إرجافا بالأساطير أو إلحاقا بفرضيات الخيال العلمى عن منشأ الكون ونهايته . من وجهة النظر النوعية إذن ثمة حياة فقط وليس ثمة من موت . وهذه فكرة محورية عند محفوظ فهو كفرد محكوم بالموت يجد عزاء فى فكرة الاستمرار النوعى للحياة البشرية وهذه الفلسفة تسيطر على الكثير من أعماله الرئيسية مثل « الثلاثية » و « الحرافيش » و « أولاد حارتنا » وهى فلسفة تجد أصولها فى تأثر محفوظ بالفكر الداروينى عن التطور البيولوجى للحياة من ناحية وبأفكار الفيلسوف الفرنسى هنرى برغسون عن « الارتقاء الخلاّق » من ناحية أخرى ، وهو مما فصلّت القول فيه فى دراستى عن محفوظ « البحث عن المعنى » التى صدرت بالانكليزية فى عام ١٩٩٣ .

لعل هذا هو سبب افتتان محفوظ بما يعرف برواية الأجيال التى كتب فيها النماذج الثلاثة الكبرى المذكورة أعلاه وغيرها مما لايضاهيها فى المكانة . فرواية الأجيال تتيح له تصوير استمرارية الحياة المجتمعية أو النوعية عبر الأفراد ، وأنْ يُظهِر أن ما يعجز الفرد عن تحقيقه فى حياته المفردة المحدودة يتحقق فى حياة المجتمع أو النوع غير المحدودة . ومن هنا فإننا لا يجب أن ننخدع بما يبدو من نظرة تشاؤمية للحياة فى أعمال محفوظ التى تُصوِّر المآسى الفردية ذلك أن وراءها فيما أعتقد تفاؤلا فلسفياً ينبعث من قوة إيمان الكاتب بحتمية التقدم النوعى . هذا الفهم للحياة تعبر عنه هذه العبارة التى ترد على لسان أحمد شوكت فى « السكرية » (الجزء الثالث من « الثلاثية ») « الحياة (...) واجب إنسانى عام (...) هو الثورة الأبدية ، وما ذلك إلا العمل الدائب على تحقيق إرادة الحياة ممثلة فى تطورها نحو المثل الأعلى » .

أبطال نجيب محفوظ يعشقون الحياة وهو ما يلخصه حسنين بطل « بداية ونهاية » فى هذه العبارة : « أكبر ذنب يؤخذ به فى الآخرة هو أن نترك هذه الدنيا دون أن

نستمتع بحلاوتها » . إلا أن محفوظ لا ينظر إلى الأمر بالبساطة التى يراه بها بعض أبطاله . فالحياة لديه فعل أخلاقى ارتقائى ، والفرد لبنة فى بناء المجتمع أو النوع البشرى كله ، عليه ضريبة وجود يجب أن يؤديها عن طريق العمل الدؤوب لتحسين الحياة من حوله وفى نطاق بيئته المتاحة له الحركة فيها مهما صغرت . هذا هو الفرد الذى نحس فى أعمال الكاتب أنه يحظى باحترامه وعطفه . أما الفرد الأنانى المنعزل عن بيئته المغتنم الحياة فرصةً يستلبها من الآخرين ، الفرد الذى بسلوكه يسهم فى تقويض بناء المجتمع أو إعاقة التقدم النوعى الخالد - مثل هذا الفرد لا محل له فى فردوس الكاتب وهو مدان عنده ومطرود من رحمته . ولعل هذه النظرة الأخلاقية للحياة عند محفوظ تلخصها هذه العبارة من « أصداء السيرة الذاتية » . « الحياة دين ثقيل رحم الله من سدده » .

على أن التعزِّى الفلسفى ببقاء النوع ليس بمُنَجٍّ من هلع الفرد أمام الموت ، موت الآخرين الذى نعاينه فى كل يوم من أيام الحياة أو موت الذات الذى نعى حتميته ونترقب حضوره على غير موعد فى أى لحظة من اللحظات . والموت بكل صوره وأفانينه موجود فى نتاج محفوظ المديد . الموت المفاجىء . الموت المتوقع . الموت بالمرض . الموت فى أوج الصحة . الموت فى ميعة الصبا . الموت فى أرذل العمر . الموت السِلمْى . الموت العنيف . الموت انتحاراً . الموت قتلا . إلى آخر القائمة .

والموت عند محفوظ غالباً ما يكون له معنى أخلاقى أو فلسفى . ومن قبيل ذلك موت رشدى عاكف فى صدر الشباب فى رواية « خان الخليلى » . ورشدى عاكف كما يعلم من قرأ الرواية شخصية مقبلة على الحياة إقبالاً مفرطاً ، وكأن الحياة لهو والتذاذ ولا شيء وراء ذلك . أى أن عاكف فى عرف محفوظ لا يؤدى دوره أداءً مسؤولاً باعتباره لبنة فى بناء المجتمع أو النوع . أو أنه فى عبارة أخرى لايدرك أن « الحياة دين ثقيل » فيستدين بغير حساب غير عابىء بالسداد . وهذا ذنب لا يغتفر عند محفوظ الذى يعلمِّنا فى إحدى قصصه أن : «ليست الحياة لعباً . انظرْ إلى النملة ! هل يرضيك أن تكون أدنى مرتبة منها ؟ » ومن هنا حكمه الصارم على رشدى عاكف بالموت بذات الصدر فى ربيع العمر .

على أن الموت عند محفوظ ليس دائماً ذا مغزى أخلاقى ، فهو أيضاً يمكن أن يكون موتاً عبثياً بلا أى مغزى على نحو يعكس طبيعة الموت كما نعاينه فى الواقع المُعاش . وهذا الضرب من الموت تحفل به قصص محفوظ القصيرة خاصة ، التى تعج

بأشخاص يسقطون صرعى لحوادث الطريق وغيرها من صفعات القدر المفاجئة التى تزرى بتدابير البشر وتضع فى لحظة خاطفة نهاية حاسمة لكل مشاريعهم وطموحاتهم جليلة كانت أم وضيعة .

وثمة إصرار لدى محفوظ على هشاشة الحياة البشرية وعرضتها للتقوُّض أمام الموت فى أى لحظة . ومن أقوى تمثيلات محفوظ لهذا الإدراك قصته « يوم حافل » المضمَّنة فى مجموعته « بيت سيء السمعة » ؛ حيث يصوِّر رجلا تمتلىء حياته بالصراعات ؛ مع زوجته فى البيت ، ومع منافسيه فى العمل ، وتحتشد فى ذهنه الخطط والمكائد لإيقاع الهزيمة بأعدائه على نحو ما ألف طوال حياته . وبينما هو سائر إلى مقهاه المفضل لتناول كأس قبل التوجه إلى موعد غرامى إذا بطفل يبول علنا فى الطريق متفاخراً بنشر الرذاذ فى دائرة واسعة ، فينحرف الرجل فى فزع ليتقى أن يصيب الصبى ملابسه ، فإذا بقدمه تزل ويسقط على ظهره ويرتطم مؤخر رأسه بحافة الطوار . وحين يسرع المارة لإقالته من عثرته يجدونه جثة هامدة ومع جثته تهمد أيضاً فى لحظة الخطط والمشاريع ، والمكائد والتدابير ، والهزائم والانتصارات التى كانت تضج فى ذهنه وفى حياته قبل ثوان .

على أن إدراكنا لحتمية الموت وفجائيته ينبغى لدى محفوظ أن يكون حافزاً لدينا لحسن استغلال الفسحة المتاحة لنا فى الحياة ولئلا نفرط فيها بالتقاعس والإرجاء . وهو ما تمثله هذه الأقصوصة الأمثولية من «أصداء السيرة الذاتية» : « قال برجاء حار :- جئتك لأنك ملاذى الأول والأخير . فقال العجوز باسما : - هذا يعنى أنك تحمل رجاء جديداً . - تقرر نقلى من المحافظة فى الحركة القادمة . - ألم تقض مدتك القانونية بها ؟ هذه هى تقاليد وظيفتك . فقال بضراعة : - النقل الآن ضار بى وبأسرتى . - أخبرتك بطبيعة عملك منذ أول يوم . - الحق أن المحافظة أصبحت وطنا لنا ولاغنى عنه . - هذا قول زملائك السابقين واللاحقين ، وأنت تعلم أن ميعاد النقل لايتقدم ولا يتأخر . فقال بحسرة : - يالها من تجربة قاسية . - لِمَ لمْ تُعِدَّ نفسك لها وأنت تعلم أنها مصير لا مفر منه » .

* * *

ننتقل الآن إلى باب ثالث اخترته للنقاش زيادة فى ضرب المثل والتدليل . وليكن هذا الباب هو المقتبسات التى أدرجتها تحت عنوان « فى القضاء والقدر » . إن أى

قارىء دارس لأعمال محفوظ يعلم أن القدر يعلب دوراً أساسياً فى فهمه لمحنة الوجود البشرى كما تكشف عنها أعماله منذ روايته الأولى « عبث الأقدار » فصاعداً . محفوظ يؤمن بالإرادة البشرية والجهد البشرى وقدرتهما على تغيير الواقع الفردى والاجتماعى . هذا أمر لا شك فيه من مطالعة أعماله . ولكن مما لا شك فيه أيضا أن إيمانه هذا ليس مطلقاً ، بمعنى أنه يرى أن الجهد البشرى ليس طليقاً من كل قيد وأن ثمة عنصراً خارجاً تماماً على الحسابات البشرية قادراً على عرقلتها وقلبها رأساً على عقب دون أن نستطيع له شيئاً . هذا هو القدر . وهو عند محفوظ يتلبس أسماء عديدة منها الحظ والمصادفة والقضاء والغيب والمجهول . وقد تطور مفهومه عند الكاتب حتى تبوتق فى تعريف شبه علمى وهو تلاعب الزمان والمكان على نحو ما نرى فى هذا المقتبس من رواية « حضرة المحترم » : « يصادف الحائرون احتمالات ثرية للسعادة فى ظروف غير مناسبة . حين يتفق المكان مثلا ويختلف الزمان ، أو العكس ، مما يقطع بأن السعادة كائنة ولكن السبل ليست ممهدة دائماً ، ومن اللعب بين هذا ذاك يجىء الحظ السعيد أو العبث » .

والأمثلة المجسِّدة لهذه الأطروحة كثيرة متوافرة فى روايات محفوظ وقصصة القصيرة من الثلاثينات إلى اليوم ، فدور القدر فى حياة البشر من الثوابت الصامدة فى رؤياه ، إلا أنه ليس هنا مجال تفصيل ذلك إنما الذى أريد قوله هو أنه بمراجعة باب « القضاء والقدر » من هذه المصنفات تتوفر لنا مجموعة من الطروح اللفظية تبدأ بـ «عبث الأقدار » (١٩٣٩) وتنتهى بـ « التنظيم السرى » (١٩٨٤) مظهرة ملاحقة الفكرة للكاتب وثباتها عنده فى أطواره الفنية والفكرية عبر فترة زمنية تجاوز الأربعين عاماً . والمطلوب من القارىء المهتم فى نهاية الأمر أن يقوم برحلة معاكسة لاتجاه الرحالة التى قمت أنا بها ، فأنا استخلصت المفاتيح الفكرية للكاتب من دراستى ومعايشتى الطويلة لأعماله التى سبق الإشارة إليها ، ثم هأنا فى هذه المقتبسات أقدم له هذه المفاتيح جاهزة حتى يستعين بها بعض الاستعانة على فتح ما قد يجده موصداً من أبوابه ، أو إن شاء فليعتبرها علامات إرشاد عند مفارق الطرق والمنشعبات فى العالم الرحب لهذا الكاتب العظيم .

ثمة ملاحظة أخيرة ما كنت أحسبنى فى حاجة لإبداءها لولا أننا نعيش فى عصر كثر فيه سوء الظن بالأدباء وما يبدعون وكثرت فيه قراءة آثار الخيال كما لو كانت عرائض اتهام يدان من حيثياتها كاتبوها . إن قارىء هذه المقتبسات سيجد فيها الإيمان والشك ، والزهد و التهالك على الملذات ، والورع والمجون ، والأمل واليأس إلى آخر أضداد الخبرة البشرية ، كما تجتمع فى كل أدب عظيم يسعى إلى تصوير الحياة فى كل أضوائها وظلالها . فليس يجوز إذن أن تنسب هذه المتناقضات إلى كاتبها وأن تؤخذ هذه العبارة أو تلك فينسب منطوقها ومدلولها إلى الكاتب ، إنما ينسب ذلك إلى الشخصية القائلة والحدث ، ولا يحكم على الموقف الأخلاقى للكاتب سلباً أو إيجاباً إلا من خلال السياق الكامل للعمل الواحد إن لم نقل لأعماله كلها .

نخص بالذكر فى هذا الشأن الفصل المعنون « فى الدين والعلم » ، ففيه نجد الكثير من المقتطفات التى تثير الشك حول الأديان والتى قد تدل على غياب الإيمان أو فى كل هذا نجده فى عبارات وتقاطع وتعليقات ألخ . نـرد فى أعمال محفوظ منذ « خان الخليلى » الأربعينية وحتى أحدث أعماله الثمانينية .

وإذا أخذنا على سبيل المثال عبارة « ... كما أنقذتنا الأديان من الوثنية ينبغى أن ينقذنا العالم من الديانات » . المقتبسة من رواية « خان الخليلى » ، لوجدنا أنها ترد « على لسان المحامى الماركسى أحمد راشد الذى يمثل اتجاهاً فكرياً معيناً فى الرواية وفى المجتمع . وورود هذه العبارة لا يعنى بالضرورة أنها تمثل قناعة شخصية لدى الكاتب ، إنما هى تمثل وجهة نظر الشخصية القائلة . وفى الرواية وجهة نظر أخرى منطلقها دينى بحت يعبر عنها شخصية أحمد عاكف فالواضح أن الكاتب يعارض الأفكار والاتجاهات الاجتماعية بعضها ببعض ويمثل ما فى المجتمع من تيارات متناقضة . فلا يمكن أن ننسب له هذا الرأى أو ذاك فمن المستحيل أن يؤمن الكاتب بالرأى وضده فى آن . إنما يستشف رأى الكاتب من سبل أخرى ليس هنا مجال الحديث فيها .

هذا الكلام من بدهيات التذوق الأدبى وما كان ثمة من داع للتأكيد عليه لولا ما أسلفنا من اعتبارات قد تغذيها قراءة بعض المقتطفات خارج سياقها الأشمل .

رشيد العنانى
سبتمبر ١٩٩٧

١ فى الدين والعلم

خان الخليلى

- مَن رُسُل العصر الحاضر ؟

- أضرب مثلا بهذين العبقرِيين : فرويد وكارل ماركس . (ف ٦)

إن العلماء المعاصرين يعلمون بما فى الذرة من عناصر ، وبما وراء عالمنا الشمسى من ملايين العوالم - فأين الله ؟ وما أساطير الديانات ؟ وما جدوى التفكير فى مسائل لا يمكن أن تحل وينبغى أن نجد لها حلا ؟ (ف ٦)

(...) كما أنقذتنا الأديان من الوثنية ينبغى أن ينقذنا العلم من الديانات . (ف١١)

القاهرة الجديدة

ما أجمل أن يستهين بالموت (...) وأن يرمق العدم بعين التسليم بالواقع دون فزع إلى قوة وهمية أو إله باطل . هذا هو انتصار العقل الحر على الغرائز العمياء والأوهام الباطلة ! (ف ٤٠)

زقاق المدق

- أخي لا تذكرني بالعَوْد . إن من يقصد بيت الله وفى قلبه خاطر من خواطر الحنين إلى الوطن حقيق بأن يبطل الله ثوابه ويخيب دعاءه وينفد سعادته . سأذكر العودة حقا إذا فصلت عن مهبط الوحى فى طريقى إلى مصر ، وأعنى بها العودة إلى الحج مرة ثانية إذا أذن الرحمن وأعان . من لى بمن يقرنى ما تبقى من العمرة فى البقاع الطاهرة ، أمسى وأصبح فلا أرى إلا أرضا تطامنت يوماً للمس أقدام الرسول ، وهواء خفقت بتضاعيفه أجنحة الملائكة ، ومغانى أصغت للوحى الكريم يهبط من السماء إلى الأرض فيرتفع بأهل الأرض إلى السماء ، هنالك لا تطوف بالخيال إلا ذكريات الخلود ، ولا يخفق الفؤاد إلا بحب الله ، هنالك الدواء والشفاء ، أخى .. أموت شوقاً إلى استطلاع أفق مكة ، واستجلاء سماواتها ، والانصات إلى همس الزمان بأركانها ، والسير فى مناكبها ، والانزواء فى معابدها ، وإرواء الغلة من زمزمها ، واستقبال الطريق الذى مهده الرسول بهجرته فتبعته الأقوام من ثلثمائة وألف عام ولا يزالون ، وثلوج الفؤاد بزيارة القبر النبوى والصلاة فى الروضة الشريفة ، وأن بقلبى من مكنون الهيام ما يقصر الزمان عن بثه ، ولدى من فرص الزلفى والسعادة ما يعجز العقل عن تصوره .. أرانى يا أخوان ضاربا فى شعاب مكة تاليا الآيات كما أنزلت أول مرة ، كأنما أسمع درسا للذات العلية ، أى سرور !. وأرانى ساجداً فى الروضة متخيلا الوجه الحبيب كما يتراءى فى المنام ، فأى سعادة ؟.. وأرانى متخشعاً لقاء المقام مستغفراً فأى طمأنينة !. وأرانى وارداً زمزم أبل جوارح الشوق بندى الشفاعة فأى سلام !. أخى لا تذكرنى بالعودة وادعُ الله معى أن يحقق لى المنى .. (ف ٣٣ السيد رضوان الحسينى قبيل شروعه فى الحج) .

بين القصرين

قال [لأمه] وقد ضاق بمنطقها : « لا حياة لقوم إذا حكمهم أجنبى (الإنجليز) » فقالت له فى استغراب : « ولكنا لا نزال أحياء رغم أنهم يحكموننا من زمن بعيد ، وقد أنجبتكم جميعا فى ظل حكمهم ! إنهم يابنى لا يقتلون ولا يتعرضون للمساجد ولا تزال أمة محمد بخير ! » فقال الشاب يائسا : « لو كان سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، حياً ما رضى أن يحكمه الإنجليز » فقالت بلهجة الحكيم : « هذا حق ، ولكن أين نحن من الرسول عليه الصلاة والسلام ؟ كان الله يعينه بملائكته . » فهتف بها حانقا : « سيعمل سعد زغلول ما كانت الملائكة تعمله . » ولكنها هتفت وهى ترفع ذراعيها كأنما تدفع بلاء لا دافع له : لا تقل هذا يا بنى ، استغفر ربك ، اللهم رحمتك وغفرانك ! » (ف ٥٢) (من حوار بين فهمى وأمه) .

قصر الشوق

هل من سبيل إلى قوة قاهرة تبيد الظلم والظالمين ؟ يارب العالمين : أين عد التك السماوية ؟ (ف ٣١)

أصل الحياة ومآلها ! أصل الحياة آدم ، ومصيرنا إلى الجنة أو النار . أمَ جدّ جديد فى ذلك ؟ (ف ٤) (أحمد عبد الجواد مخاطباً ابنه كمال)

القرآن إما أن يكون حقا كله أو لا يكون قرآنا . (ف ٣٣)

لقد كفر دارون ووقع فى حبائل الشيطان ، إذا كان أصل الإنسان قرداً أو أى حيوان آخر . فلم يكن آدم أبا للبشر .. هذا هو الكفر عينه ، هذا هو الاجتراء الوقح على مقام الله وجلاله !! إنى أعرف أقباطًا ويهوداً في الصاغة وكلهم يؤمنون بآدم ، كل الأديان تؤمن بآدم فمن أى ملة دارون هذا ؟!، إنه كافر ، وكلامه كفر ، ونقل كلامه استهتار ، خبرنى أهو من أساتذتك بالمدرسة ؟ (...)

لماذا كتب مقالته ؟ لقد تردد طويلا قبل أن يرسلها إلى المجلة ، ولكنه كان كانما يود أن ينعى إلى الناس عقيدته . لقد ثبتت عقيدته طوال العامين الماضيين أمام عواصف الشك التى أرسلها المعرى والخيام ، حتى هوت عليها قبضة العلم الحديدية فكانت القاضية . على أننى لست كافراً ، ولا زلت أومن بالله ، أما الدين ..؟ ، أين الدين ؟ ، ذهب ! (...)

ياله من رجل طيب . إنه يطمع فى أن يحمله على مهاجمة العلم فى سبيل الدفاع عن أسطورة . حقا لقد تعذب كثيراً ولكنه لن يقبل أن يفتح قلبه من جديد للأساطير والخرافات التى طهره منها . كفى عذابًا وخداعًا ، لن تعبث بى الأوهام بعد اليوم ، النور النور ، أبونا آدم ! ، لا أب لى ، ليكن أبى قردا إن شاءت الحقيقة (ف ٣٣)

(من حوار بين أحمد عبد الجواد وابنه كمال بشأن مقالة للأخير يعرض فيها نظرية النشوء والارتقاء لدارون)

سيكون فى تحرره من الدين أقرب إلى الله مما كان فى إيمانه به ، فما الدين الحقيقى إلا العلم ، هو مفتاح أسرار الكون وجلاله ، ولو بعث الأنبياء اليوم ما اختاروا سوى العلم رسالة لهم ، هكذا يستيقظ من حلم الأساطير ليواجه الحقيقة المجردة ، مخلفًا وراءه تلك العاصفة - التى صارع فيها الجهل حتى صرعه - حداً فاصلاً بين ماضٍ خرافى وغد نورانى ، بذلك تتفتح له السبل المؤدية إلى الله ، سبل العلم والخير والجمال ، وبذلك يودع الماضى بأحلامه الخادعة وآماله الكاذبة وآلامه البالغة .. (ف ٣٣)

إرفعْ رأسك أخيراً إلى ربِّ السماوات واسأله عن حل سعيد ! (ف ٣٦)

الله نفسه لم يعد الله الذى عبدته قديمًا ، إنى أغربل صفات ذاته لأنقيها من الجبروت والاستبداد والقهر والدكتاتورية وسائر الغرائز البشرية (ف ٣٧)

سأل روحه هل تؤمن بوجود الله؟ فسألته بدورها ، لماذا لا تحاول أن تثب من نجم إلى نجم ومن كوكب إلي كوكب كما تثب من درجة إلى درجة فوق السلم ؟ وعن الصفوة المختارة من أبناء السماء ، فقد رفعوا الأرض إلى مركز الكون وجعلوا الملائكة تسجد للطين ، حتى جاء أخوهم كوبر نيكوس فأنزل الأرض بحيث أنزلها الكون جارية صغيرة للشمس ، ثم تلاه أخوه داروين فهتك سر الأمير الزائف وأعلن على الملأ أن أباه الحقيقى هو حبيس قفصه الذى يدعو الأصدقاء للتفرج عليه فى الأعياد والمواسم ، وفى الأصل كان السديم ، فتناثرت منه النجوم كالرشاش المتطاير من عجلة الدراجة ، وتجاذبت النجوم فى لهوها الأزلى فأنجبت الكواكب ، وانطلقت الأرض كرة سائلة والقمر فى أثرها يعابثها ، وهى تقطب له بجانب من وجهها وتبسم له بجانب آخر حتى فتر حماسها فاستقرت سماتها جبالاً ونجوداً وقيعانًا وصخوراً ثم حياة تدب ، وجاء ابن الأرض يزحف على أربع ويسائل من يصادفه عن المثل الأعلي . (ف ٤٠)

أما هذا الجامع (جامع الحسين الحاوى لضريحه) ، فلم يعد فى نظره إلا رمزاً من رموز الخيبة التى ابتلى بها قلبه . كان فى الماضى يقف تحت مئذنته وقلبه خفاق ودمعه متحفز وصدره مرتع لجيشات الوجد والإيمان والأمل ، واليوم يقترب منه وهو لايراه إلا مجموعة ضخمة من الأحجار والحديد والخشب والطلاء تحتل مساحة واسعة من الأرض بغير وجه حق ! (ف ٤٣)

جعل يحرك شفتيه (بالصلاة) دون أن يقول شيئا ، وانحنى واستوى ثم ركع وسجد وكأنه يؤدى بعض الحركات الرياضية الفاترة وقال لنفسه : إن أقدم الآثار المتخلفة على وجه الأرض أو فى باطنها معابد ، وحتى اليوم لا يخلو منها مكان . فمتى يشبّ الإنسان عن طوقه ويعتمد على نفسه ؟ وهذا الصوت الجهير الذى يترامى من أقصى الجامع يذكر الناس بالآخرة فمتى كان للزمن آخر ؟ (ف ٤٣)

أما السعادة العمياء التى تضئ وجوه الطائفين (بضريح الحسين) من حوله فقد نبذها غير آسف ، وكيف يشترى السعادة بالنور وقد عاهد نفسه على أن يعيش مفتح العينين ، مؤثرا القلق الحى على الطمأنينة الخاملة ، ويقظة السهاد على راحة النوم (ف ٤٣)

السكرية

لكل عصر أنبياؤه وأنبياء هذا العصر هم العلماء. (ف١٣)

الدين ملك الناس ، أما الله فلا علم لنا به ، منذا الذى يستطيع أن يقول لا أومن بالله ، أو يقول أومن بالله ؟ الأنبياء هم المؤمنون الحقيقيون ، وذلك أنهم رأوه أو سمعوه أو خاطبوا رسل وحيه . (ف ١٥)

بقاء عقيدة أكثر من ألف سنة آية لا على قوتها ، ولكن على حطة بعض بنى الإنسان ، ذلك ضد معنى الحياة المتجددة ، ما يصلح لى وأنا طفل يجب أن أغيره وأنا رجل ، طالما كان الإنسان عبداً للطبيعة والإنسان ، وهو يقاوم عبودية الطبيعة بالعلم والإختراع كما يقاوم عبودية الإنسان بالمذاهب التقدمية ، ما عدا ذلك فهو نوع من الفرامل الضاغطة على عجلة الإنسانية الحرة ! (ف ٢٠)

قد يكون في الإسلام اشتراكية ، ولكنها اشتراكية خيالية كالتى بشّر بها توماس مور ولويس لوبلان وسان سيمون ، إنه يبحث عن حل للظلم الاجتماعى فى ضمير الانسان ، بينا أن الحل موجود فى تطور المجتمع نفسه ، إنه لاينظر إلى طبقات المجتمع ولكن إلى أفراده ، وليس فيه بطبيعة الحال أية فكرة عن الاشتراكية العلمية ، وفضلا عن هذا كله فتعاليم الإسلام تستند إلى ميتافيزيقا أسطورية تلعب فيها الملائكة دوراً خطيراً ، لاينبغى أن نبحث عن حلول لمشكلات حاضرنا فى الماضى البعيد (ف ٤٣)

- ألم تسمعى عن النبى الذى كان يجاهد ليل نهار دون أن يمنعه ذلك من أن يتزوج تسعًا ؟

- دعني أحدثك عن كارل ماركس الذى عكف على تأليف «رأس المال» تاركًا زوجه وأبناءه للجوع والبهدلة» (ف ٤٣)

الزواج والدفن على سُنَن ديننا القديم ، أما الحياة فعلي دين ماركس ! (ف ٤٤)

ليس من العسير إقناع المثقفين بأن الدين خرافة وأن الغيبيات تخدير وتضليل ، ولكن من الخطورة بمكان مخاطبة الشعب بهذه الآراء ، وأن أكبر تهمة يستغلها أعداؤنا ، هى رمى حركتنا بالإلحاد أو الكفر .. ؟

إن مهمتنا الأولى أن نحارب روح القناعة والخمول والاستسلام ، أما الدين فلن يتأتى القضاء عليه إلا فى ظل الحكم الحر ، ولن يتحقق هذا الحكم إلا بالانقلاب ، وعلى العموم فالفقر أقوى من الإيمان، ومن الحكمة دائما أن تخاطب الناس على قدر عقولهم .. (ف ٤٩)

ألا ترى أنهم (الإخوان المسلمون) يخاطبون العقول بلغتنا ؟ فيقولون اشتراكية الإسلام ، فحتى الرجعيون لم يجدوا بدا من استعارة اصطلاحاتنا ، وهم لو سبقونا إلى الانقلاب فسوف يحققون بعض مبادئنا ولو تحقيقًا جزئيًا ، ولكنهم لن يوقفوا حركة الزمن المتقدمة إلي هدفها المحتوم ، ثم إن نشر العلم كفيل بطردهم كما يطرد النور الخفافيش ! (ف ٤٩)

الطريق

عندما تجئ المعجزة ، ستقول له : «أنا صابر ، صابر سيد سيد الرحيمى ، هاك شهادة الميلاد ، وهاك شهادة الزواج ، وانظر جيداً فى هذه الصورة !»

عند ذاك سيفتح لك ذراعيه وتنجاب عنك الوساوس إلى الأبد (ف٢)

الشحاذ

للعقائد طغيان حتى على الذين نبذوها . (ف ٥)

ثرثرة فوق النيل

- إنك تهرب بالمطلق من المسؤولية !

- المسؤولية سبيل الكثيرين للهروب من المطلق ! (ف ٩)

ميرامار

اللعنة ! مَنذا يزعم أنه عرف الإيمان ؟ قد تجلى الله للأنبياء ونحن أحوج منهم إلى ذاك التجلى ! (عامر وجدى١)

كيف لا أومن بالله وأنا أحترق فى جحيمه ؟ (عامر وجدى ١)

الإيمان .. الشك .. إنهما مثل النهار والليل . (منصور باهى)

المرايا

لا يغيظنى شئ كما يغيظنى ضربكم الأمثال بعدالة عمر ، ودهاء معاوية ، وعسكرية خالد . عمر شحاذ ومعاوية دجّال وخالد فتوة درجة ثالثة لم يجد من يؤدبه (عبد الرحمن شعبان)

مهما يكن من أمرنا (نحن البشر) فثمة جانب فينا يستطيع أن يصنع المعجزات ، وهو الذى خلق الله ! (عجلان ثابت)

يا بلد الاحتفال بالإسراء والمعراج فى عصر الهبوط على سطح القمر ! (عزمى شاكر)

إنكم لا تتمسكون بالقيم البالية إلا خوف المغامرة بالبحث عن غيرها ، والعلم لايعطى قيمًا ، ولكنه يضرب مثالاً حسنًا فى الشجاعة ، فعندما تهاوت الحتمية

الكلاسيكية كيَّف نفسه برشاقة فوق أرض الاحتمال وتقدم ، لاينظر إلي الوراء . (بلال عبده بسيونى) .

لامنقذ لنا سوى العلم ، لا الوطنية ولا الاشتراكية ، العلم والعلم وحده . فهو يواجه المشكلات الحقيقية التى تعترض مسير الإنسانية ، أما الوطنية والاشتراكية والرأسمالية فتخلق كل يوم مشكلات نابعة من أنانيتها وضيق نظرها وتبتكر لها من الحلول ما يضاعف فى النهاية من حصيلة المشكلات الحقيقية (بلال عبده بسيونى) .

العظمة الحقيقية للدين لا تتجلى إلا عندما تعتبره لا دينًا (كامل رمزى)

حكايات حارتنا

الإيمان بالله يقتضى الإيمان بتجاهله لعالمنا ، كما يقتضى منا الاعتماد الكلى على النفس وحدها . (الحكاية رقم ٧٣)

متى تُصلِّين وتصومين؟ فى آخر شهر قبل يوم القيامة . (الحكاية رقم ٢)

أهل حارتنا لا يفهمون إلا لغة واحدة ، هى اللغة المشتقة من همومهم ، الحاوية لعذاباتهم ، المقدسة بأوراد الكائن المرجو عند الشدة (...) (الحكاية رقم ٧٣)

(أؤمن بالله) ولكنه لا يتصل بى وأنا عاجز عن الاتصال به . بيننا صمت قاتل ، وأرى فى الحياة شراً لا تفسير له ، وأرى فى الطبيعة عجزاً ونقصًا ، ولا أفهم لذلك معنى ، فلم أشك فى أنه - سبحانه - قرر أن يتركنا لأنفسنا . بلا اتصال وبلا عناية (...) وإذن فالايمان بالله يقتضى الإيمان بتجاهله لعاملنا ، كما يقتضى منا الاعتماد الكلى على النفس وحدها . (الحكاية رقم ٧٣)

- لا تخشَ أن يأخذ الناس الحياة مأخذ العبث فى غياب الإيمان بالعناية الإلهية ؛ إذ إنها أمانة ملقاة علينا ولا مفر من حملها بكل جدية وإلا هلكنا ، وإذا أمكن أن يوجد أحيانًا أمثال الخيام وأبي نواس ، فإنما يوجدون لا بفضل فلسفتهم ولكن بفضل الجادين الكادحين الذين يقومون بحمل الأمانة عنهم ، ولو اعتنق الجميع مذهب العبث فمن يصنع لهم الخبز والخمر والرياض؟ وإذن فلا تخش أن يأخذ الناس الحياة مأخذ

اللهـو إن وجدوا أنفسـهم فى عـالم بلا إله ، لامـفـر من الجـدية ، ومـن الإبداع ، ومن الأخلاق ، ومن القانون ، ومن العقاب ، وقد يستعينون أيضا بالعقاقير الطبية لمقاومة الضعف في السلوك والتفكير ، كما يستعينون بها فى مقاومة الأمراض ، وسيفعلون ذلك بإصرار ، ولن تهن عزيمتهم بسبب أنهم يجدون أنفسهم فى سفينة بلا مرشد ، فى بحـر بلا شطآن فى زمن بلا بداية ولا نهـاية ، ولن تخـتـفى البطولة ولا النبل ولا الاستشهاد ...

(...) وذات يوم سيحقق الإنسان نوعًا من الكمال في نفسه ومجتمعه ، وعند ذاك ، وعند ذاك فقط، ستسمح له شخصيته الجديدة بإدراك معنى الألوهية وتتجلي له حقيقتها الأبدية ... (الحكاية رقم ٧٣)

قلب الليل

إننى أتمرغ فى التراب ولكننى هابط فى الأصل من السماء . (ف ٢)

الإنسان الحر يسعد بالوعى حتى وإن أبصر بقوة أكثر مأساة الحياة الخافية . (ف ٦)

أؤمن بأن العقل سيغنى الإنسان ذات يوم عن غرائزه وعواطفه فتصبح جميعًا مثل الزائدة الدودية. (ف ٦)

عجز عقلى تمامًا عن إدراك الله أو تصوره ، ولكن لم يجد مفراً من افتراض وجوده ، وهذه هى المأساة. (ف ٦)

نحن نتكلم عن القلب كنبع للإيمان ولكن تذكر أن الله لم يعبده إلا الإنسان العاقل ، فالعقل فى الواقع هو أساس الإيمان ولكن عجزه النسبى عن إدراكه - مع حرصه عليه - جعله يرجع الإيمان به إلى عضو آخر هروبًا من التناقض . (ف ٦)

إنى عاجز عن الكفر بالله. (ف ٦)

لقد أدرك الإنسان الحياة والموت والخوف فافترض عقله فرضًا (هو الإيمان بالله) ، لينقذ الأمل. (ف ٦)

الجزم بالمادية ليس أقوى فى شرعة العقل من الجزم بالله . (ف ٧)

يا عقلى المقدس ، لماذا تخليت عنى؟ (ف ٧)

الحرافيش

لا أصدق خيال أهل حارتنا ، فهم يؤمنون أن الخير بدأ وانتهى فى ماضٍ غامض ، ولا يفرقون بين الحقيقة والحلم ، يفكرون بعواطفهم ، ويحكمون علي الأشياء بتعاستهم ، ويصدقون أن الملائكة هجرت سماواتها ذات يوم لتحمى هذا أو ذاك من أجدادهم . (المطارد ٤٣)

يذهب الإنسان بخيره وشره ولكن تبقي الأساطير . (الأشباح ١)

ليالى ألف ليلة

من العقل أن نعرف حدود العقل . (الشيخ)

رحلة ابن فطومة

كل فعل جميل أو قبيح يستهلّ «بسم الله الرحمن الرحيم». (الوطن)

إننا نزخرف أهواءنا بكلمات التقوي المضيئة، (...) ونداري حياءنا بقبسات الوحى الإلهى. (الوطن)

من آمن بعقله أغناه عن كل شئ . (دار الحلبة)

العائش فى الحقيقة

ما الكهنة إلا دجالون ، يستعبدون الضعفاء ، وينشرون الخرافات ، وينهبون الأرزاق ، معابدهم مواخير ، وقلوبهم ثملة بحب الدنيا . (مرى رع)

قشتمر

الدين موضوع ، والله موضوع آخر ! (الطبعة الأولى ص ٣٣)

تحت المظلة

لم يكن ثمة فردوس فى الماضى ، ولن يكون ثمة فردوس فى المستقبل ، علينا أن نتقبل الحياة كما هى . (التركة)

حكاية بلا بداية ولانهاية

الايمان يتجدد تحت مظاهر شتى خلال الزمن . (حكاية بلا بداية ولا نهاية)

حياتنا وقف قديم متهدم تتحكم فيه وصايا الأموات . (عنبر لولو)

الحب فوق هضبة الهرم

إن ما يهم الله ، سبحانه ، هو ما يصيب الناس من خير أو شر . أما هو -

جل جلاله – فمستغن عن البشر ، لن يزيده إيمانهم به ، ولن ينقص من شأنه كفرهم به . (السماء السابعة)

من خلال ثرثرة فكرية غيَّر (فلاديمير إيلتش) لينين الأسماء ولم يغير الجوهر ، سمى إلهه المادة الأزلية وأضفى عليها من صفات الله القدم والخلق والسيطرة على مصير الكون ، وسمّى الرسل بالعلماء ، والملائكة بالعمال والشياطين بالبورجوازيين ، ووعد أيضا بالجنة مع تحديد أكثر لزمانها ومكانها . (السماء السابعة)

صباح الورد

التراث لامعنى له ، كان ذات يوم حضارة حيّة متقدمة ثم تجاوزه الزمن فأمسى خرقًا بالية ! (صباح الورد)

حول الدين والديمقراطية

الدين ليس علمًا فى العلوم ، ولا فرعًا من المعرفة ، ولكنه تربية روحية يتجلى جوهرها في المعاملة والسلوك والرؤية (...) (ولذلك) أتصور أن تكون درجة نجاح التلميذ فى مادة «السلوك» هى درجة نجاحه فى التربية الدينية . (الدين والمدرسة)

٢ في السياسة والإجتماع

كفاح طيبة

القاعدة المتبعة فى مصر أن يسرق الأغنياء الفقراء ، ولكن لايجوز أن يسرق الفقراء الأغنياء (ف ٥)

خان الخليلى

إن مثلنا مثل ربان سفينة ، تمخر عباب مضيق ثائر ، تهب عليه ريح زعزع عاصفة ، فيفور زخاره ويصطخب ركامه ، فتعلو السفينة وتسفل ، وتميل ذات اليمين ، وتميل ذات الشمال ، مضطربة البنيان مزلزلة الأركان ، فهل يجوز للربان - وتلك حال السفينة - أن يولى آلة القيادة ظهره ليرمى بطرفه إلى الأفق متأملاً ومنشداً ؟ نحن نجتاز الآن مضيق الموت تكتنفنا الآلام من كل جانب . فلنأخذ من الآلام ذخيرة لتأملاتنا . حقا إن للأبراج العاجية لذتها ، ولكن ينبغى أن نقاوم أنانيتنا إلى حين . (ف ١١)

(فى أهمية الالتزام الاجتماعى) .

القاهرة الجديدة

النشل فن سحرى ، والنشال يملك ما فى جيوب الناس جميعًا . وقد عرف سادة هذا البلد مغزى هذه الحكمة . (ف ١٤)

* الواقع أن أى نظام من أنظمة الحكم يستحيل إلى ديكتاتورية إذا طبق فى مصر.

« هذا وطنى» «ضربك شرف يا أفندينا » » (ف ٤١)

بداية ونهاية

- يجب أن نكون جميعا أغنياء .

- وإذا لم يكن هذا ؟

- إذن يجب أن نكون جميعا فقراء .

- وإذا لم يكن هذا ؟

- إذن نثور ، ونقتل ، ونسرق .

- هذا ما نفعله منذ آلاف السنين . (ف ٤٥)

الجاه والحظ والمهن المحترمة فى بلدنا هذا وراثية . لست حاقداً ولكنى حزين . حزين على نفسى وعلى الملايين . لست فرداً ولكننى أمة مظلومة ، وهذا ما يولّد فىّ روح المقاومة ويعزينى بنوع من السعادة لا أدرى كيف أسميه . (ف ٤٨)

إنى أكسب بعرق جبينى على نحو ما (...) لابد من العرق كى تعيش ولكن يختلف العضو الذى يعرق بين فرد وآخر !

- ثمة أناس يكسبون دون أن يعرق لهم جبين !

- هذه غاية الشطارة ، أن تكسب بعرق جباه الآخرين ! (ف ٥٨)

قصر الشوق

إنى أكره التودد إلى الكبراء ، ولكن لايعنى هذا أن أحترم العامة . إنى أحب الجمال وأزدرى القبح ، ومن المؤسف أن الجمال قلّ أن يوجد فى العامة . (ف ١٧)

السكرية

فى المكتبة أصدقاء قليلون ممتازون مثل داروِن وبرجسون ورَسِل ، وفى هذا السرادق (السياسى) آلاف فى الأصدقاء ، يبدون بلا عقول ، ولكن يتمثل فى مجتمعهم شرف الغرائز الواعية ، وليسوا فى النهاية دون الأُوَل خلقًا للحوادث وصنعًا للتاريخ (ف ٤)

حياتنا لا تخلو من مومسات من نوع أو آخر ، منهم وزراء وكتّاب . (ف ١٦)

اللص والكلاب

تَخْلُقنى ثم ترتدّ ! تُغيّر بكل بساطة فكرك بعد أن تجسّد فى شخصى ! كى أجد نفسى ضائعًا بلا أصل وبلا قيمة وبلا أمل . (ف ٤)

« ماذا يحتاج الفتى فى هذا الوطن ؟ (...) إلى المسدس والكتاب ، المسدس يتكفل بالماضى والكتاب للمستقبل . تدرَّبْ واقرأ! » (ف ٥)

السمان والخريف

كل شئ ينهار بسرعة ، ومن الخير أن ندعه ينهار ، هذا القديم كله يجب أن يجتث من جذوره ! (ف ٣)

أظفر الحكام بقلوب المحكومين هو أعظمهم احترامًا لإنسانيتهم ، وليس بالخبز وحده يحيا الإنسان. (ف ١٩)

الشحاذ

اقترحنا (مجموعة يسارين) جاذبية جديدة ، غير جاذبية نيوتن يدور حولها الأحياء والأموات فى توازن خيالى لا أن يتطاير البعض ويتهاوى الآخرون . (ف ٣)

إن ملايين الضحايا المجهولين منذ عهد القرد قد رفعوا الإنسان إلي مرتبة سامية ! (ف ١٥)

ثرثرة فوق النيل

«إن الثورات يدبرها الدهاة وينفذها الشجعان ثم يكسبها الجبناء» (ف ٣)

لكى يبقى الإنسان إنسانًا فعليه أن يثور ولو كل سنة مرة ! (ف ٧)

لا يجوز أن يُضحَّى بنا بدافع من تركيب لفظى ! (ف ١٧)

ميرامار

إن الثورة ظاهرة غريبة مثل الكوارث الطبيعية . (حسنى علام)

المرايا

لم نعذِّب أحداً بالمعنى الذى تظنه . كنا نصبّ العذاب كما تملأ أنت الاستمارة (٥٠ ع.ح.) ، أو كما تكتب تقريراً بناءً على طلب الوزير ، عمل ليس إلاّ ، له مقاييسه من الإتقان ، وتقديره فى حساب الواجبات العامة . وإذا وُجد بيننا من يغالى فى عمله أو ينفذّه بلذة خفيّة أو ظاهرة فكما يوجد أحيانا في أوساطكم من يفرط فى العمل ليدارى نقصا أو تعاسة ملحّة . (أحمد قدرى) عن التعذيب السياسى .

... اقتنعت فى النهاية بأنه لا نجاة للجنس البشرى إلا بالقضاء على قوى الاستغلال التى تستخدم أسمى ما وصل إليه فكر الإنسان فى استعباد الإنسان وخلق صراعات مفتعلة سخيفة تستنفد خير ما فيه من إمكانيات رائعة ، وذلك كخطوة أولى لجمع العالم فى وحدة بشرية ، تستهدف خيرها معتمدة على الحكمة والعلم ، فتعيد تربية الإنسان باعتباره مواطنا فى كون واحد وتهيئ لجسمه السلامة ، ولقواه الخلاقة الانطلاق ليحقق ذاته ويبدع قيمه ويمضى بكل شجاعة نحو قلب الحقيقة الكامنة فى ذلك الكون الباهر الغامض ... (بلال عبده بسيونى)

أصبح لكل شئ قيمة إلا الإنسان (زهير كامل)

... مهما يكن من علم الإنسان أو أخلاقه ، فلا غنى له عن الوعى الثقافى المتضمن طبعا الوعى السياسى . وأنه مهما يكن من تفوقه وبراعته وفائدته فلن يعتصر من ذاته إمكاناتها الإنسانية حتى ينظر إلي نفسه لا باعتباره جوهراً فرداً مستقلاً ولكن باعتباره خلية لا تتحقق لها الحياة إلا بوجودها التعاونى فى جسد البشرية الحى. (سرور عبد الباقى)

اعتبرته غاية ما بعدها غاية فى الاستلقاء خارج الزمن (سيد شعير). تعليقًا على الانعزال عن هموم المجتمع .

أتعلم ما هى الثروة الحقيقية فى بلاد العرب ؟ (...) ليست البترول ولكنها السيرة النبوية والقرآن . (عباس فوزى)

(...) إن قدرى رزق يعتبر رجلاً محترمًا ومخلصًا من رجال ثورة يوليو (١٩٥٢) ، وقد يتعذر تعريفه على ضوء المبادئ العالمية ، ولكن يمكن تعريفه بدقة على ضوء «الميثاق» ، فهو يؤمن بالعدالة الاجتماعية إيمانه بالملكية الخاصة والحوافز ، ويؤمن بالاشتراكية العلمية إيمانه بالدين ، ويؤمن بالوطن إيمانه بالوحدة العربية ، ويؤمن بالتراث إيمانه بالعلم ، ويؤمن بالقاعدة الشعبية إيمانه بالحكم المطلق . وعندما يقبل عليّ وهو يعرج ويطالعنى بعينه الباقية ينبض قلبى بالمودة والإكبار . (قدرى رزق) .

الحب تحت المطر

(ليس) الوطن أرضًا وحدوداً جغرافية ولكنه وطن الفكر والروح ! (ف ١٥)

الوطن هو الأرض التى يسعد فيها الإنسان ويكرم . (ف ٢٠)

الكرنك

قلت لنفسى حقًا إن حياتنا تزخر بالآلام والسلبيات ولكنها فى جملتها ليست إلا النفايات الضرورية التى يلفظها البناء الضخم فى شموخه ، وأنها يجب ألا تعمينا عن العظمة فى تولدها وامتدادها . هل عرفنا ما كان يعانيه ساكن الحارة فى القاهرة عندما كان صلاح الدين يحقق انتصاره الحاسم على الصليبيين؟ ، هل تخيلنا آلام أهل القرى المصرية عندما كان محمد على يكوِّن إمبراطورية مصرية؟ ، هل تصورنا عصر النبوة فى حياته اليومية والدعوة الجديدة تفرق بين الأب وابنه والأخ وأخيه والزوج وزوجته ، تمزق العلاقات الحميمة وتحل العذاب مكان التقاليد الراسخة ؟ وبالمثل ألا يستحق إنشاء دولتنا العلمية الاشتراكية الصناعية التى تملك أكبر قوة فى الشرق الأوسط ، ألا تستحق أن نتحمل فى سبيلها تلك الآلام ؟ ! وكنت أشعر طيلة الوقت بأنه يمكن أن أقنع نفسى بضرورة الموت وفائدته بمثل هذا المنطق ! (قرنقله) (فى تبرير صمت المثقفين أمام تجاوزات النظام الناصرى)

عندما يلفنا الظلام ، أو تسكرنا القوة ، أو تطربنا نشوة تقليد الآلهة ، فإنه يستيقظ فى أعماقنا تراث وحشى ، ويبعث فينا العصور البائدة . (قرنفلة)

قلب الليل

اقتحم الأبواب بجرأة ! لا تتمسكن ، فكل ما تحتاجه هو حق لك ، هذه الدنيا ملك للإنسان ، لكل إنسان . (ف ٢)

السياسة عالم رحيب ، مفاتنه موزعة على جميع المذاهب . (ف ٧)

السياسة هى الحياة . (ف ٧)

إنى أجد فى الصفوة (الأرستقراطية) نبلاً وثقافة وعراقة تاريخية (...) وفى الليبرالية حرية وقيم وحقوق للإنسان آية فى الجمال (...) وفى الشيوعية عدالة كاملة تجد المذاهب البشرية فى مناخها تفتحها وازدهارها (...) وفى الدين مزايا متوازنة لاتعد ولا تحصى . (ف ٧)

أخذت فى تحليل أسباب الثراء من الهبات والانتهازية والاستغلال والعسف والقوة حتى اقتنعت بأنه لا يوجد ثراء مشروع بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة . (ف ٧)

ليالى ألف ليلة

إن شر ما يبتلى به الإنسان أن يتوهم أنه إله . (نور الدين ودنيازاد ٢٤)

حديث الصباح والمساء

لقد ولى السادات نيابة عن عبد الناصر ، ثم قتل كذلك نيابة عنه ! (غسان عبد العظيم داوود)

همس الجنون

المعدة أصل البلاء (...) كثيرون لا يستطيعون أن يملأوا منها فراغاً فيعيشوا جوعاً ، وآخرون لايتركون بها فراغاً قط ، فيهلكوا نهما ، ومن التجاذب والتنافر بين هاتين المعدتين يحدث السلب والنهب والقتل . (الشر المعبود) .

تحت المظلة

ثمة زمن يخلق الأبطال وآخر يخلق المهرجين . (مشروع للمناقشة) .

شهر العسل

الكواكب تسبح فى أفلاك متأثرة باختلاف أحجامها ، فمساراتها متحددة بصراع طبقى أزلى سرمدى . (فنجان شاى) .

الجريمة

جميع القيم مهدرة ولكن الأمن مستتب ! (الجريمة) .

الشيطان يعظ

مَنْ لم يفقه لغة المستقبل ، دمرّه الحاضر . (الشيطان يعظ) .

التاريخ نهر طويل يتدفق بالدم المسفوك تسعة أعشاره من دماء الأبرياء . (الجبل) .

احذفْ « الإرغام » من قاموسك ، لاتتبع طريق الحكام الذين يمهدون للديمقراطية بمناهج دكتاتورية ، أو يحققون العدل بالظلم ، إنه طريق سهل لأنه يقوم على القوة لا التربية . (أيوب) .

التنظيم السرى

يجب ألا تتوقف حياتنا وإلا ضعنا . الأسهل أن ندبر حياتنا فى حدودنا المتاحة من أن نحاسب الحكام والمسؤولين ، ونعرض أنفسنا لمخالبهم الحادة المفترسة . ألا

ترونهم يرمون أعداءهم بالإلحاد دفاعاً عن غنائمهم ؟ فإذا قامت ثورة إسلامية تنمروا لها وللإسلام دفاعا عن غنائمهم ؟ فلا الإسلام يهمهم ولا الإلحاد ولا يعبدون إلا المال والجاه ، وأنا رجل ضعيف ... (السيد « س ») .

صباح الورد

تجنبت العالم لكنه أبى أن يتركني وشأني . (أسعد الله مساءك) .

الفجر الكاذب

زمن المبادئ مضى وهذا زمن الهجرة . (تحت الشجرة) .

٣ فى التصوُّف

زقاق المدق

- .. فلا تقل مللت ! الملل كفر . الملل مرض يعتور الإيمان . وهل معناه إلا الضيق بالحياة ؟! ولكن الحياة نعمة الله ، سبحانه وتعالى ، فكيف لمؤمن أن يملها أو يضيق بها ! ستقول ضقت بكيت وكيت ، فأسألك من أين جاءت كيت وكيت هذه ؟ أليس من الله ذى الجلال ؟ فعالج الأمور بالحسنى ، ولاتتمرد على صنع الخالق . لكل حالة من حالات الحياة جمالها وطعمها ، بيد أن مرارة النفس الأمارة بالسوء تفسد الطعوم الشهية . صدقنى أن للألم غبطته ، ولليأس لذته ، وللموت عظته ، فكل شئ جميل ، وكل شئ لذيذ ! كيف نضجر ، وللسماء هذه الزرقة ، وللأرض هذه الخضرة ، وللورد هذا الشذا ، وللقلب هذه القدرة العجيبة على الحب ، وللروح هذه الطاقة اللانهائية على الإيمان . كيف نضجر وفى الدنيا من نحبهم ، ومن نعجب بهم ، ومن يحبوننا ، ومن يعجبون بنا . استعذ بالله من الشيطان الرجيم، ولاتقل مللت (ف٦) .

الحق أن حبى الآخرة لايدفعنى إلى الذهد فى الدنيا أو التململ من الحياة ، لطالما لمستم بأنفسكم حبى الحياة والسرور بها ، وكيف لا وهى من خلق الرحمن ، خلقها الله وملأها بالعبر والأفراح ، فمن شاء فليتفكر ومن شاء فليشكر ، ولذلك أحبها ، أحب ألوانها وأصواتها ، وليلها ونهارها ، ومسراتها وآلامها ، وإقبالها وإدبارها ، وما يدب على ظهرها من حى أو يقيم عليه من جماد ، هى خير خالص ، وما الشر إلا عجز مرضى عن إدراك الخير فى بعض جوانبه الخافية ، فيظن العاجز المريض بدنيا الله الظنون . لذلك أقول لكم إن حب الحياة نصف العبادة ، وحب الآخرة نصفها الآخر ، ولذلك يهولنى ماتنوء به الدنيا من دموع وأنات وسخط وغضب وغل وسخيمة ، وما تبتلى به فوق هذا كله من ذم المرضى العاجزين ، أكانوا يؤثرون لولم تخلق حياتنا ؟ أكانوا يحبون لو لم نخرج من العدم ؟ أتسول لهم نفوسهم الاعتراض على الحكمة

الإلهية ؟ وما أبرئ نفسى ، فلقد ملكنى الحزن مرة على اقتطاع فلذة من كبدى ، وتساءلت فى غمرة الحزن والألم : لماذا لم يبق الله على طفلى حتى يتمتع بحظه من الحياة والسعادة ، ، ثم شاء الله أن يهدينى ، فقلت لنفسى : أليس هو - عز وجل - الذى خلقه ، فلماذا لا يسترده وقتما يشاء ! ولو أراد الله له الحياة للبث فى هذه الدنيا حتى يشاء الله ، ولكنه استرده لحكمة اقتضتها مشيئته ، فهو لايفعل شيئا إلا لحكمة ، والحكمة خير ، فقد أراد ربى به وبى خيراً ، وسرعان ماغلبنى السرور بإدراك حكمته على حزنى ، ولسان قلبى يقول : ربى ، لقد وضعتنى موضع البلاء لتختبرنى وهأنا أجوز امتحانك ثابت الإيمان ، ملهماً حكمتك ، « فاللهم شكراً » وصار ديدنى إذا أصابتنى مصيبة أن ألهج من أعماق قلبى بالشكر والرضا . كيف لا والله يخصنى بالامتحان والعناية ، وكلما عبرت محنة إلى بر السلام والإيمان ازددت إدراكا لما فى مقاديره من حكمة ، وما فيها بالتالى من خير ، وما تستحق بعد ذلك من شكر وسرور ، وهكذا وصلت المصائب مابينى وبين حكمته على دوام لاينقطع . حتى خلتنى طفلا مدللاً فى ملكوته يقسو على لأزدجر ، ويخوفنى بعبوس مصطنع ليضاعف سرورى بالأنس الحقيقى الدائم ، وأن الحبيب ليسبر محبوبه بالصدِّ حينا ، وإن عرف المحبوب أن الصدَ مكْرُ محبٍ ، لا هَجْرَ قالٍ ، تضاعف حبه وسروره (ف ٣٣) .

إنى أحب الحياة ، بل أحب نفسى ، لا كذات تتعلق بى ، ولكن كفلذة من قلب البشرية ، ونبض من الحياة ، وخلق للصانع الأجل ، وتجربة للحكمة الإلهية ، وأحب الناس جميعا حتى المجرمين الشائهين . أليسوا يرمزون إلى عناء الحياة الممض فى سبيل الكمال ؟ .. أليسوا ظلمة تلقى عتمتها على بهاء الخير ضياء ؟(ف ٣٣) .

السكرية

التصوف هروب كما أن الإيمان السلبى بالعلم هروب ، وإذن فلابد من عمل ، ولابد للعمل من إيمان ، والمسألة هى كيف نخلق لأنفسنا إيماناً جديراً بالحياة . (ف ٥٤).

اللص والكلاب

نمت طويلاً ولكنك لاتعرف الراحة ، كطفل ملقى تحت نار الشمس ، وقلبك المحترق يحن إلى الظل ولكن يمعن فى السير تحت قذائف الشمس ، ألم تتعلم المشى بعد ؟ (ف ٨) .

« من غاب عن الأشياء غابت الأشياء عنه » (ف ٨) .

« لو كان لك آخَرُ ماجئتنى ! » (ف ٨) .

قال سيدى : « إنى لأنظر فى المرآة كل يوم مراراً مخافة أن يكون قد أسودّ وجهى . » (ف ١٧) .

السمان والخريف

جميع البشر فى حاجة إلى جرعات من التصوف ، وبغير ذلك لاتصفو الحياة . (ف ٢٧)

الشحاذ

ما أكثف الظلمة حولنا . تكاثفى حتى ينسانا العالم . وليختف كل شئ عن العين الضجرة . آن للقلب وحده أن يرى . أن يرى النشوة كنجم متوهج . وهاهى تدب فى الأعماق كضياء الفجر . فلعل نفسك أعرضت عن كل شئ ظمأ للحب . حباً فى الحب . توقاً لنشوة الخلق الأولى ، اللائذة بسر أسرار الحياة ، التى خرجت من صراع مليون سنة بنبتة باهرة مذهلة . (ف ٧)

أوقف السيارة فى جانب من الطريق المقفر وغادرها إلى ظلمة شاملة . ظلمة غريبة كثيفة بلا ضوء إنسانى واحد . لايذكر أنه رأى منظراً مثل هذا من قبل ، فقد اختفت الأرض والفراغ ووقف هو مفقوداً تماماً فى السواد ، ورفع رأسه قبل أن تألف عيناه الظلام فرأى فى القبة الهائلة آلاف النجوم عناقيد وأشكالاً ووحداناً . وهب الهواء جافاً لطيفاً منعشاً موحداً بين أجزاء الكون . وبعدد رمال الصحراء التى أخفاها الظلام انكتمت همسات أجيال وأجيال من الآلام والآمال والأسئلة الضائعة . وأقل شئ أنه لا ألم بلا سبب وأن اللحظة الفاتنة الخاطفة يمكن أن تمتد فى مكان ما إلى الأبد ، وقد يتغير كل شئ إذا نطق الصمت وهأنا أضرع إلى الصمت أن ينطق . وإلى حبة الرمل أن تطلق قواها الكامنة وأن تحررنى من قضبان عجزى المرهق . وما يمنعنى من الصراخ إلا انعدام ما يرجع الصدى . وأسند جسمه إلى السيارة ونظر نحو الأفق . وأطال وأمعن النظر . وثمة تغير جذب البصر . رق الظلام . وانبثت فيه شفافية . وتكون خط فى بطء شديد ومضى ينضج بلون وضئ عجيب . كسر أو عبير . ثم توكد فانبعثت دفقات من البهجة والضياء والنعسان . وفجأة رقص القلب بفرحة ثملة . واجتاح السرور مخاوفه وأحزانه . وشُدَّ البصرُ إلى أفراح الضياء يكاد يُنْتَزعُ من

محاجره . وارتفع رأسه بقوة تبشر بأنه لن ينثنى . وشملته سعادة غامرة جنونية آسرة وطرب . رقصت له الكائنات فى أربعة أركان المعمورة . كل جارحة رنمت وكل حاسة سكرت واندفنت الشكوك والمخاوف والمتاعب . وأظله يقين عجيب ذو ثقل يقطر منه السلام والطمأنينة . وملأته ثقة لا عهد له بها وعدته بتحقيق أى شئ يريد . ولكنه ارتفع فوق أى رغبة وترامت الدنيا تحت قدميه حفنة من تراب . لاشئ . لا أسأل صحة ولا سلاماً ولا أمانا ًولا جاهاً ولاعمراً . ولتأت النهاية فى هذه اللحظة فهى أمنية الأمانى . (ف ١٣) .

إنه يخاطب الجماد والحيوان ويناقش الكائنات المنقرضة . ويرى أحيانا وهو ينطلق بسيارته الأرض المتماسكة وهى تتفتت ثم تتحول إلى شبكة مترامية من الذرات حتى يضطر إلى التوقف وهو يرجف . وأحيانا وهو يرنو إلى شجرة أو النيل تتحقق للمنظور شخصية حية ، وتتخذ هيئته ملامح خفية لايعوزها الشعور أو الإدراك ، ويخيل إليه أنه يرامقه فى حذر ، وأنه يضع وجوده بإزاء وجوده هو على مستوى الند للند ومفاخراً فى ذات الوقت بعراقته فى الوجود وخلوده النسبى فى الزمن . (ف ١٧)

عندما يظفر قلبك بضالته سيجّد نفسه خارج أسوار الزمان والمكان . ولكنك مازلت تشقى باللوعة فى البيت الصغير ككوخ تنبسط من حولك الأرض المعشوشبة ، وتحيط بها على مدى السور أشجار السرو الرفيعة المقام . متى اليوم الذى يغيب عنك السرو وما يحدق به . يوم تسكت أشجان الليل المستقطرة من هسيس النبات وزفرات الصراصير ونقيق الضفادع . يوم لاترهقك ذكرى ماضية ، ويستأثر بك اللاشئ . وتتلاشى أصداء الترانيم الهندية والتأوهات الفارسية فتستقبل شعاع النشوة الوردى بلا وسيط . نشوة الفجر العصماء العصية لتشدك بقوة المجهول إلى قبة السماء . هنالك لن يعرف قلبك النوم ولا حواسك الصحو . (ف ١٨) .

كيف أفكر فيكَ طيلة يقظتى ثم تعبث بى الأهواء ؟ (ف ١٨) .

زولوا لأرى النجوم ! (ف ١٩) .

إنْ تكنْ تريدنى حقاً فلمَ هجرتنى ؟ (ف ١٩) .

ثرثرة فوق النيل

« إن المتلفت لايصل . » (ف ٣) .

ميرامار

آن الآوان فدفعت بقاربى المضطرب إلى بحر الأنغام والطرب . نشدته أن يكوّن من الأعضاء المتنافرة المتناحرة جسما ينبض بالروح والانسجام . نشدته أن يعلمنى التوافق والتوازن فى بناء ترعاه عين الحب والسلام . أن يصهر عذاباتى فى نغمة تنعش القلب والعقل بجمال البصيرة . أن يسكب الشهد المصفى على عناد الوجود . (عامر وجدى ١) .

الحرافيش

بوابة (التكية) تناديه . تهمس فى قلبه أن اطرق ، استأذن ، أدخل ، فز بالهدوء والنعيم والطرب ، تحول إلى ثمرة توت ، امتلئ بالرحيق العذب ، انفث الحرير ، وسوف تقطفك أيد طاهرة فى فرح وحبور . (عاشور الناجى ٨) .

تسقط الأمطار فوق الأرض ولا تتلاشى فى الفضاء . وتومض الشهب ثانية ثم

تتهاوى . والأشجار تستقر فى منابتها ولاتطير فى الجو . والطيور تدوم كيف شاءت ثم تأوى إلى أعشاشها بين الغصون . ثمة قوة تغرى الجميع بالرقص فى منظومة واحدة لايدرى أحد ما تعانيه الأشياء فى سبيل ذلك من أشواق وعناء مثلما تتلاطم السحب فتنفجر السماء بالرعود (قرة عينى ١٤) .

هل عرف أخيراً لمَ تشرق الشمس ؟ لمَ تتألف النجوم فى الليل ؟ عمَّ تفصح أناشيد التكية ؟ (...) لمَ نحزن للموت ؟ (شهد الملكة ١٣) .

ليالى ألف ليلة

أما أهل الغناء فيخلِّصون أنفسهم ، وأما أهل الجهاد فيخلِّصون العباد . (علاء الدين أبو الشامات ١٠) .

طوبى لمن تمَّ له تحويل القلب من الأشياء إلى رب الأشياء . ليس يخطر الكون ببالى ، وكيف يخطر الكون ببال من عرف المكوِّن ؟ (علاء الدين أبو الشامات ١٠) .

- إليك قول رجل مجرب قال « من غيرة الحق أن لم يجعل لأحد إليه طريقاً ، ولم يؤيس أحداً من الوصول إليه ، وترك الخلق فى مفاوز التحير يركضون ، وفى بحار الظن يغرقون ، فمن ظن أنه واصل فاصله ، ومن ظن أنه فاصل مناه ، فلا وصول إليه ولا مهرب عنه ، ولا بد منه » . (البكّاءون ١٠) .

العائش فى الحقيقة

- كنت فى الخلوة قبيل الشروق ، رفيق الليل يودعنى والصمت يباركنى ، وخف وزنى فخيل إلىّ أننى سأمضى مع ذيول الليل ، وتجسدت الظلمة كائناً حياً يومىء

بالتحية ، وأشرق فى داخلى نور طيب الرائحة ، فرأيت الكائنات كلها مجتمعة فى مجال تحيط به العين ، تتهامس متبادلة التهانى تهزها سعادة الترحيب ، وتستقبل الحقيقة المقبلة ، وقلت لنفسى أخيراً انتصرت على الموت والألم ، وانهلّت فوقى فيوضات السرور ، وتسلل الوجود إلى صدرى فملأه برحيقه العذب ، وسمعت بكل وضوح صوته وهو يقول لى : « أنا الإله الواحد ، لا إله غيرى ، أنا الحق ، اقذف بروحك فى رحابى ، واعبدنى وحدى ، وهبنى ذاتك فقد وهبتك حبى » . (آى)

ليلة أمس أسكرنى الشوق بلا خمر ، وتجسد لى الظلام جليسًا أنيسًا كالعروس المتجلية ، وحلقت بى نشوة آسرة فى الفضاء ، وهناك عبر ألف خيال وخيال بزغت الحقيقة للفؤاد أقوى من أى منظر تراه العين ، وترامى إلَىّ صوت أجمل من عبير الأزهار فقال لى : « املأ وعاء قلبك بأنفاسى ، واطردْ عنه ما ليس منى ، أنا القوة التى تتسلل منها قوى الوجود ، أنا النبع الذى تتدفق منه الحياة ، أنا الحب والسلام والسرور ، املأ وعاء قلبك منى ويسره مشربا للمعذبين فى الكون » . (مرى رع) .

متى يرى البشر المشرق والمغرب فى دفعَة نور واحدة ؟ (محو)

رأيت فيما يرى النائم

رأيت فيما يرى النائم ..

أننى فى حديقة من أشجار الليمون . وأن الناس يزدحمون حول أشجارها ويتبارون فى ملء مقاطفهم من ثمارها . وأن ثمة بيعا وشراء ومساومات ، وتنافسًا حاميًا يشتعل . وأن رجال الشرطة يتدخلون أحيانا لفض نزاع بهراواتهم فتسيل دماء . وكنت أتجول بين الجماعات بلا مقطف حتى قال السمسار ساخراً :

– رجل مجنون جاء السوق بلا مقطف !

والحق أن الشذا هو الذى دعانى لا السوق ، فهمت على وجهى أتغزل برشاقة

الأشجار وخضرتها الباسمة وأغصانها الثرية . وتخلق حب خالص فى رعاية القبة الزرقاء . وفى لحظة مشرقة استحلت غصنا فأفلت من مطاردة السمسار . ومضى الزمن وأنا أتأود على دفقات النسيم ، وأنهل من حرية عبقة بشذا الليمون . (الحلم رقم ٧)

التنظيم السرى

عبثاً أحاول تذكر حياتى فى مجراها المفعم بالوجود قبل ساعة الميلاد . تلك النبضة المنبثقة من تلاقى جرثومة متوترة ببويضة متلهفة فى أول مأوى آمن يتاح لى . فى أى غيب كنت أهيم قبل ذلك منطلقاً مع تيار متصل غير محدود من الذكور والإناث ، تشارك فى مهرجانه قوى عديدة من النبات والحيوان وعناصر الطبيعة من ماء وتراب وحرارة وبرودة ، فى تناغم مع دورة الأرض والقمر والشمس فى حضن درب التبانة العظيم الماضى فى حوار دائم مع دروب لا نهاية لها . لعل إشارات من ذلك الغيب تتجلى فى أحلامى فى صور أفراح غامضة وكوابيس ثقيلة سرعان ما تتلاشى فى كون النسيان العنيد مخلفة فى النفس قلقا يتلاطم مع الواقع الصلد ناشراً تساؤلات عديدة ودعوات مغرية للرقص والتنقيب . (السيد «س»)

الشيطان يعظ

- اسمح لى أن أذكرك بالأشياء التى تقيد حرية الإنسان ، (...) لأننا نتناساها عادة فى زحمة الحياة والغرور (...)

إنها تبدأ عملها فى بطن الأم ، بلا استئذان أو مشاورة ، فتقرر لنا طولاً ولوناً وملامح ، وأجهزة تنفس وهضم وأعصاب ذوات خواص محددة ، وغرائز ، وبعض الأمراض أحيانا ، يتم ذلك كله قبل أن نرى نور الدنيا (...)

عندما يخرج الوليد إلى الدنيا تتسلمه أسرته ، ثم تتكاتف على صبه فى قالب جاهز من القيم والأذواق والتقاليد والعقائد وهو يتشكل بلا قدرة على الإدراك أو النقد أو الاختيار (...)

ثم تتلقاه المدرسة لتحكم حوله قالباً جديداً يهبه فى النهاية عملاً ورؤية للدنيا والأشياء ، وينضم إلى المدرسة فى عملها المجتمع كله ممثلاً فى أحزابه وجمعياته ونماذجه البارزة ، الجميع طامعون فى حريته ولو فعلوا ذلك باسم الحرية نفسها (...)

ثم يجىء دور قوى جديدة خارج المجتمع ، منها البيئة ، وأثرها معروف فى النشاط والكسل ، فى القوة والضعف ، فى الإيجابية والسلبية (...)

هناك الأرض نفسها ، الكرة الأرضية ، فهى بجاذبيتها وحركتها تحدد له وزنا وأسلوباً فى الحركة وحدوداً لا يمكن تجاوزها ، هناك أيضا الشمس وأشعتها وانفجاراتها الموسمية ، بل هناك النظام الشمسى كله فيما نعرف من آثاره وما نجهل ، ولك أن توسع تصورك حتى يشمل الكون كله ما ظهر منه وما غاب ، الكون كله يؤثر فى حريتنا ويكون لذلك نتائجه فى سلوكنا وتصوراتنا ، أما الإنسان الغافل فقد يعتقد أنه حر حرية مطلقة ، أو أنه لا يؤثر فيه إلا عقدة أوديب ، أو عوامل اقتصادية ، ثم تجىء بعد ذلك قوى غريبة خارجة عن التصنيف المنطقى ، تبدو عارضة لا معقولة ، نسميها مصادفات أو ما شئت من أسماء ، ولكنها مع ذلك قد تقلب الحساب رأساً على عقب فى لحظة خاطفة ، وهى لا حصر لها ، مقابلة غير متوقعة ، ضياع رسالة فى البريد ، حادث قطار أو سيارة ، سقوط جسم فجأة إلخ إلخ ، فهل تستطيع أن تتجاهل القوى المؤثرة فى حرية الإنسان وبالتالى فى مصيره ؟! (أيوب)

(الحضارة) أنشأها الإنسان بفضل ظمئه الخالد للحرية ، (...) إنه لم يتحرك بإغراء اللقمة ولكن ليتحرر من الجوع ، الحضارة معركة مستمرة بين الحرية والقوى المؤثرة ، الآلة تحرير من عبودية السخرة ، الدواء تحرير من المرض ، العلم تحرير من الجهل ، الطيارة تحرير من الجاذبية ، السرعة تحرير من الزمن ، كذلك المذاهب ، فالدين تحرير للروح ، الإقطاع كان تحريراً من الفوضى ، الليبرالية كانت تحريراً من الإقطاع ، الاشتراكية تحرير من الليبرالية ، معركة مستمرة بلا نهاية (...)

المأساة ، ولعلها ليست بمأساة ، أنه ما من جديد يجد إلا ويجيء معه بقدر من الحرية وقدر من الاستعباد الجديد ، فالآلة تحجب عن الإنسان مصيره ، الإقطاع حرر من قطاع الطرق وفرض الرق ، الليبرالية حررت المواطن من الحكم المطلق وجاءت بالاستغلال الاقتصادى ، الاشتراكية حررت الإنسان من الاستغلال وسيطرت عليه بالبيروقراطية أو الدكتاتورية ، ولذلك فلا نهاية للمعركة ولا للابتكارات ولا للمذاهب حتى يظفر الإنسان بحريته الكاملة ويصبح قولاً وفعلاً سيد مصيره ، لذلك علينا دائماً وأبداً أن نكون مع كل جديد بقدر ما يعد من حرية وأن نكون على استعداد للتخلى عنه كلما جد جديد أفضل أو رجحت كفته السالبة (...)

ولكن ما دور الفرد - كفرد - فى هذه المعركة لكى يحرر إرادته ويحسن الاختيار ؟

عليه أن يقتنع بأن « الذاتية » هى سبيل العبودية ، وأن الموضوعية هى سبيل الحرية ، الاختيار الحر يقوم على الموضوعية ، وإلا أذعننا إلى غريزة ونحن نتوهم أننا نمارس عاطفة ، أو سايرنا عاطفة ونحن نعتقد أننا نلبى العقل ، ولكى يحدث الانسجام والتوازن بين الغرائز والعواطف والعقل فلابد من تربية الإرادة تربية تبلغ بها ذروة القوة ، وبكل إنسان سليم من الصبر ما يستطيع به أن يربى إرادته ويتغلب على ضعفها وتراخيها ، فى الإنسان قوة كامنة تضارع قوة الذرة (...)

أتذكر النظرة الذاتية للكون التى جعلتنا نتصور أننا مركزه ؟ أتذكر النظرة الذاتية للمجتمع التى تغريك بالدفاع عن طبقتك وأنت تتخيل أنك تدافع عن الإنسانية ؟ أتذكر النظرة الذاتية إلى المرأة التى تدفعك إلى الإيمان بسيادة الرجل وأنت تعتقد أنك تبشر بطبيعة الأشياء ؟ .. اتجه نحو الموضوعية متحرراً من أي عبودية ، عند ذاك تمارس الاختيار الحر ، وتمضى فى سبيل السيادة الحقيقية ، وتقترب خطوة خطوة من طريق الأشواق الأبدية المضنون به على غير الأحرار .. (أيوب)

٤ في الحرية

قصر الشوق

مهما يكن من أمر فسأمقت ما حييت الأسْر وأعشق الحرية المطلقة ! (ف ٤٠) .

الشحاذ

متى يخترق الفضاء لغير رجعة ؟ (ف١٣) .

الفعل الصادر عن الحرية نوع من الخلق . (ف٣)

إن الإنسان لم يخلق ليكتظ بالأطعمة . وبتحرر المعدة ، تتحرر الروح كذلك ، وتحلّق (ف٣).

ليالي ألف ليلة

الحرية حياة الروح والجنة نفسها لاتغنى عن الإنسان شيئاً إذاخسر حريته . (السندباد ٤)

٥ فى الحياة

خان الخليلى

الحياة تحرص على أن يعرفها أبناؤها جميعا ، إلا أنها تقطر حقيقتها على المعمرين وتسكبها فى أفواه المتعجلين . (ف٤٣)

السراب

دعوت الله (...) أن يختصر الطريق فيقيم القيامة ويرحم العباد من محنة الحياة . (ف ٦٦)

بداية ونهاية

أكبر ذنب يؤخذ به فى الآخرة هو أن نترك هذه الدنيا دون أن نستمتع بحلاوتها . (ف ١٥)

قصر الشوق

نعمة الحياة الفناء ! (ف ٣٤)

الحياة أعمق وأعرض من أن تنحصر في شئ واحد ولو يكن السعادة نفسها . (ف ٣٥)

هب الحياة مأساة فعليك أن تلعب دورك ! (ف ٣٥)

السكرية

إن الدنيا تبدو أحيانا كلفظة قديمة اندثر معناها . (ف ٦)

أى شئ لاينكشف عن خدعة فى هذه الحياة ؟ (ف ١٩)

الحياة تبدو حيرة مطلقة فلاهى فرصة سانحة ولاهى فرصة ضائعة ! (ف ٤٦)

لن يقول إن حياته عبث ، ففى النهاية سيخلف عظاما قد تصنع منها الأجيال القادمة أداة للهو ! (ف ٤٧)

النظر إلى الحياة كمأساة لايخلو من رومانتيكية طفلية والأجدر بك أن تنظر إليها فى شجاعة كدراما ذات نهاية سعيدة ، هى الموت . (ف ٥٤)

فلنسأل أنفسنا عند الموت - أى موت - ماذا صنعنا بحياتنا ! (ف ٥٤)

الحيـاة (...) واجب إنسـانى عـام (...) هو الثـورة الأبدية ، ومـا ذلك إلا العمل الدائب على تحقيق إرادة الحياة ممثلة فى تطورها نحو المثل الأعلى . (ف ٥٤)

إنى أؤمن بالحيـاة وبالناس . وأرى نفسى ملزمـا باتبـاع مثلهم العليـا مـادمت أعتـقد أنها الحق ؛ إذ النكوص عن ذلك جبن وهروب كما أرى نفسى ملزمـا بالثـورة على مثلهم مـا اعـتقـدت أنهـا باطل ؛ إذ النكوص عن ذلك خيـانة ، وهذا هو مـعنى الثورة الأبدية ! (ف ٥٤)

أولاد حارتنا

الخوف لايمنع الموت ولكنه يمنع من الحياة . (ف ١١٣)

اللص والكلاب

عليك أن تكابد الظلمة والصمت والوحدة مادامت الدنيا لاتريد أن تغـيـر من عاداتها السيئة . (ف ١٠)

ثرثرة فوق النيل

كيــف دبّت الحيـاة لأول مـرة فــى طحالب فجــوات الصخور بأعـماق المحيط ؟ (ف ١)

إرادة الحياة هي التى تجعلنا نتشبث بالحياة بالفعل ولو انتحرنا بعقولنا . (ف ٧)

الداء الحقيقى هو الخوف من الحياة لا الموت . (ف ٩)

ثمة موت يدركك وأنت حى ! (ف ١٧)

الحب تحت المطر

الصراع الحقيقى فى هذه الحياة هو ما يقوم بين الحقائق والأساطير (ف ٢)

حضرة المحترم

لم يهمه كيف يبدأ فالحياة بدأت من خلية واحدة . (ف ٢)

الحياة يمكن تلخيصها فى كلمتين : استقبال ثم توديع . (ف ٢)

الحياة العجيبة تمسح فى لحظة من الأحزان مايعجز المحيط عن غسلها ، فهى الأم الحنون رغم معاملتها القاسية أحياناً . (ف ٣٦)

قلب الليل

الحياة لاتحترم إلا من يستهين بها . (ف ٢)

الحرافيش

قَدَحُ الحياة حتى فى أسعد أحوالها لا يخلو من كدرٍ وسُمّ . (شمس الدين ٣٥)

ما أبغض قفا الحياة ! (شمس الدين ٥٣)

لماذا نحب هذه الحياة ونحرص عليها هذا الحرص كله ؟ لماذا نذعن لمشيئتها الحادة القاسية ؟ ألا يحق لها بعد ذلك أن تسلط علينا دود أرضها ؟ (الحب والقضبان ٣٣)

يوجد خطأ جسيم ولكن أين هو ؟ (الحب والقضبان ٣٣)

عصر الحب

فى الدنيا كنوز من الأفراح لاتخطر على بال . ولكن على من يروم السعادة أن يكون حاسماً مع المعوقات المتلفعة بظلمة الأركان العتيقة . (ف ١٤)

تحت المظلة

لايمكن أن يدل (...) على حقيقة الحياة إلا شخص أدركه الموت ! (يُمِيت ويحيى)

الشيطان يعظ

عجيبة الحياة ، مخيفة الحياة ، محيّرة الحياة ! (أيوب)

لن أطالب الدنيا بما ليس فى دستورها . (أيوب)

رأيت فيما يرى النائم

إن يكن الناس متساوون فى الموت فإنهم لايتساوون فى الحياة ولا فى الذكر . (من فضلك وإحسانك)

الفجر الكاذب

ليست الحياة لعبا ، انظرْ إلى النملة ! هل يرضيك أن تكــون أدنى مرتبة منها ؟
(الهمس)

٦ في الزمن

عبث الأقدار

إن الزمان يتقدم غير ملتفت إلى الوراء ، وينزل - كلما تقدم قضاءه بالخلائق ، وينفذ فيها مشيئته التى تهوى التغيير والتبديل ، لأنه ملهاته الوحيدة التى يستعين بها على ملل الخلود . (ف ١٠)

زقاق المدق

ذهب الشاعر وجاء المذياع ، هذه سنة الله فى خلقه . وقديماً ذكرت فى التاريخ وهو ما يسمى بالإنجليزية History وتهجيتها H,i,s,t,o,r,y . (ف١) .

وانداحت هذه الفقاعة أيضا كسوابقها ، واستوصى الزقاق بفضيلته الخالدة فى النسيان وعدم الاكتراث ، وظل كدأبه يبكى صباحاً - إذا عرض له البكاء - ويقهقه ضاحكاً عند المساء ، وفيما بين هذا وذاك تصرّ الأبواب والنوافذ وهى تفتح ثم تصر كرّة أخرى وهى تغلق . (ف ٣٥) (ختام الرواية عقب مصرع عبّاس الحلو) .

السراب

ما البيت ببناء وعمارة وهندسة ، ولكنه برج ثابت فى الزمان يأوى إليه حمام الذكريات ، الساجع بالحنين إلى ما انقضى من أعمارنا (ف ٤) .

بداية ونهاية

كلما اشتد الدهر ازددت قوة وصبراً ، ولأظلن هكذا إلى الأبد! (ف ٤١)

قصر الشوق

سحر التقويم أنه يوهمنا بأن الذكرى تبعث حية وتعود ، ولو أن شيئا لا يعود . (ف ٢)

إن حوادث كثيرة تبدو وكأنها لم تقع لو لم يقيدها يوم وشهر وعام ، إننا نستعدى الشمس والقمر على خط الزمان المستقيم لندوِّره لتعود إلينا الذكريات الضائعة ، ولكن لاشئ يعود أبداً . (ف ٣٤)

ياللشباب الذى ينطوى بسرعة البرق ! هل من عزاء إلا أن تتملى الحياة ساعة فساعة بل دقيقة فدقيقة قبل أن ينعق غراب الغروب ؟ (ف ٤٠)

السكرية

سامح الله الزمن ، الزمن الذى مجرد حياته - حياته التى لاتتوقف لحظة - خيانة وأى خيانة للإنسان . (ف ٢٢)

لن يمنى الإنسان بعدو أشد فتكًا من الزمن . (ق ٤١)

اللص والكلاب

واحسرتى ، ضاع الزمانُ ، ولم أفزْ	منكم ، أهيلُ مودتى ، بلقاءِ
ومتى يؤمّــــلَ راحة من عــمــره ؟	يومان ، يومُ قلى ، ويومُ تناءِ
وكــفَى غــرامًا أنْ أبيـــتُ متيمًا	شوقِى أمامِى والقضاءُ ورائىِ

(ف ١٨) (أبيات لابن الفارض)

السمان والخريف

تجمع الماضى فى خيال عيسى كقبضة عنيفة مفعمة بالجلال والحزن . وحدثه قلبه بأن ذاك الماضى يتبلور الآن فى صورة فقاعة لن تلبث أن تنفجر . وأن وجهًا جديداً من الحياة يسفر عن صفحته رويداً رويداً حافلاً بالجدة والغرابة . وأن بوسعه أن يتعرف على

هذا الوجه لأنه لمحه هنا أو هناك ، ولكن من أين لهذا الوجه أن يتعرف عليه وهو داخل الفقاعة المتفجرة ؟ (ف ٦)

غادر الوزارة بعينين تحملقان فى داخل رأسه . أيقن الآن أنه قضى عليه بأن يعانى التاريخ فى إحدى لحظات عنفه حين ينسى وهو يثب وثبة خطيرة مخلوقاته التى يحملها فوق ظهره فلا يبالى أيها يبقى وأيها يختل توازنه فيهوى . (ف ٨)

لِمَ لمْ تقرأ المستقبل ؛ إذ هو على بعد ساعات منك على حين تؤكده أخبار وقعت فوق سطح الأرض منذ ملايين السنين ؟ (ف ٨)

لماذا قُدِّر عليه أن يحارب التاريخ فى موكبه المتدفق منذ الأزل ؟ (ف ١٠)

جرى فى الماضى ملايين السنين بين الدهشة والارتياع . (ف ١٠)

ألا لعنة الله على التاريخ ! (ف ١٢)

«لو» : حرف لوعة يطمح بحماقة إلى توهم القدرة على تغيير التاريخ . (ف ١٣)

الشحاذ

ما رأيك فى رحلة فى الفضاء ؟ فى ركوب الضوء شكراً لسرعته الثابتة ، الشئ الوحيد الثابت فى هذا الكون الذى لا يعرف الثبات ، المتغير بلا توقف ، المتحرك فى جنون ؟ (ف ٥)

لا يعرف أحد ماذا تقول الساعة التالية . (ف ١٥)

المكان رغم لانهائيته سجن . (ف ١٧)

ليس لشئ نهاية (ف ١٩)

ثرثرة فوق النيل

ستمضى الحياة قبل أن نستوعب مايمر بنا . (ف ٣)

حلت اللعنة التى تجعل لكل شئ نهاية (...) ولم يبق فى المجمرة إلا رماد . (ف ٦)

تأملوا يا أولاد المسافة التى قطعها الإنسان من الكهف إلى الفضاء ! يا أولاد الزنا سوف تلهون بين النجوم كالآلهة ! (ف ٧)

الانتظار شعور مؤرق ولاشفاء منه إلا ببلسم الخلود . (ف ٩)

كان [أنيس] يفكر فى الحلقات المفرغة التى تحاصره كل يوم كشروق الشمس وغروبها وبزوغ القمر وأفوله والحضور والانصراف فى الوزارة والإقبال والإدبار فى الجلسة والصحو والنوم ، تلك الحلقات المذكورة بالنهاية والتى تجعل من أى شئ لاشئ . وقد دار معها الآباء والأجداد . وتنتظر الأرض انتظاراً لايعرف الجزع لتستمد من آمالنا ومسراتنا أسمدة لتربتها . (ف ١٣)

لاشئ يكون كما كان ! (ف ١٧)

أصل المتاعب مهارة قرد (...) تعلم كيف يسير على قدمين فحرر يديه (...) وهبط من جنة القرود فوق الأشجار إلى أرض الغابة (...) وقالوا له عد إلى الأشجار وإلا أطبقت عليك الوحوش (...) فقبض على غصن شجرة بيد وتقدم فى حذر وهو يمد بصره إلى طريق لا نهاية له . (ف ١٨)

المرايا

خُيِّل إلىَّ أنى أسمع هدير الزمن وهو يتدفق حاملا متناقضاته المتلاطمة . (هجار المنياوى)

حكايات حارتنا

سُحب الخريف تتراكم فتقطر قتامة على حارتنا . هاهم الباعة يترنمون بحلاوة الجوافة والبطاطا .

(الحكاية رقم ٧٠)

حضرة المحترم

الزمن قصير لكنه لا نهائى أيضًا . (ف ٢)

الزمن يستكن بين يديه كطفل وديع ولكن لايمكن التنبؤ بغده . (ف ٢)

كل (شئ) يسير ، أما العسير حقًا فهو كيف نتعامل مع الزمن . (ف ٢)

ما أعجب الفصول فى تعاقبها ! (ف ٦)

إن الله خلق النجوم الجميلة ليحرضنا على النظر إلى أعلى ، (...) والمأساة أنها ستطل يومًا من عليائها فلا تجد لنا من أثر . (ف ١١)

يتحقق مجد الإنسان فى تخبطه الواعى بين الخير والشر ، ومقاومة الموت حتى اللحظة الأخيرة . (ف ١٢)

تمضى الأيام ، وستمضى أبداً ، بصيفها اللافح وخريفها الحالم ، وشتائها القاسى وربيعها الفواح . (ف ١٣)

لايوجد ما هو أغدر من السنين ! (ف ١٤)

الأمل طويل والعمر قصير . (ف ٢٠)

الحياة المجيدة تنقضى كالحياة التافهة . (ف ٢٠)

لاشئ ينسى ولاشئ يبقى ! (ف ٣٠)

بفضل الزمن نحقق كل شئ ، وبسببه نخسر كل شئ ، ولا يبقى إلا وجه ذى الجلال . (ف ٣٣)

الحرافيش

لا حزم يدوم ولا فرح . (عاشو ر الناجى ٤٦)

ومضى سحر العادة القاسى يفعل فعله بالخَطْب ، يعاشره ، ويألفه ، ويهونه ، ويدفعه فى تيار الأحداث اللا نهائية فيذوب فى عبابها (...) الزمن لن يتوقف وما ينبغى له . (شمس الدين ١٠)

وتمرّ الأيام . تزمجر زوابع أمشير ثم تعقبها رياح الخماسين . تتراكم السحب ثم يسفر بحر الصفاء الأزرق . (شمس الدين ٣٥)

تنساب عربة الزمن مكللة بالزهو والحياء . صلصلة عجلاتها المدوية لا يسمعها أحد . الأذن لا تسمع إلا ما ترغب فى سماعه . يتوهم الفحل أنه اقترن بالدنيا قرانَ دوامٍ . ولكن العربة لا تتوقف والدنيا زوج خئون . (شمس الدين ٣٩)

الأيام تتلاحق . ثمة مصير يتخايل عن بعد ولكنه راسخ ويقترب . لاشئ يؤخر خطوته . إنه يشد عضلاته ويسلّ إرادته وينتظر . (شمس الدين ٥٠)

الهتاف كثير ولكن ما أكثر الآذان التى تتعاقب على سماعه . (شمس الدين ٥٦)

لو أن شيئًا يمكن أن يدوم على حال فلمَ تتعاقب الفصول ؟ (الحب والقضبان ٤٥)

الانتظار محنة . فى الانتظار تتمزق أعضاء الأنفس . فى الانتظار يموت الزمن وهو يعى موته . والمستقبل يرتكز على مقدمات واضحة ولكنه يحتمل نهايات متناقضة . فليعب كل ملهوف من قدح القلق ماشاء . (الحب والقضبان ٤٦)

العادة تستلّ من العجائب روحها وجدتها . (المطارد ٤٢)

لا دائم إلا الحركة . هى الألم والسرور . عندما تخضرّ من جديد الورقة ، عندما تنبت الزهرة ، عندما تنضج الثمرة ، تمحى من الذاكرة سفعة البرد وجلجلة الشتاء . (المطارد ٥١)

حتى حصون القلوب يغزوها الزمن بانسيابه بين النعومة والصرامة . (المطارد ٥٣)

وتمر الأيام ، وتنمو الحياة وتتفرع ، وتتجمع المصائر فى الأفق . (المطارد ٥٥)

كان (...) يعانى الحياة وهو يسمع صلصلة عجلة الزمن تجد وراءه . (المطارد ٥٦)

هكذا مضت السنون بخير لايذكر وشر لا يحصى . (شهد الملكة ٨)

ما يمر يوم إلا ونرى الشمس وهى تشرق ثم نراها وهى تغرب . (شهد الملكة ٤٨)

لمَ لا ترجع الأيام إلى الوراء كما تتقدم إلى الأمام ؟ لمَ نخسر ما نحب ونعانى ما نكره ؟ لماذا تذعن الأشياء لأوامر صارمة ؟ (جلال صاحب الجلالة ٤)

عاشر الزمن وجهًا لوجه بلا شريك . واجهه فى جمود ، وتوقفه وثقله . إنه شئ عنيد ثابت كثيف ، وهو الذى يتحرك فى ثناياه كما يتحرك النائم فى كابوس . إنه جدار كثيف مرهق متجهم . غير محتمل إذا انفرد بمنعزل عن الناس والعمل . كأننا لا نعمل ولا نصادق ولا نحب ولا نلهو إلا فراراً من الزمن . الشكوى من قصره ومروره أرحم من الشكوى من توقفه . عندما يدركه الخلود سيجرب آلاف الأعمال بلا خوف وبلا كسل . سيخوض المعارك بلا تدبر . سيسخر من الحكمة كما يسخر من الحماقة . سيتقلد ذات يوم عمادة الأسرة البشرية (...) لن يخشى الخلود . لن يعرف الموت . سيظل الكون خاضعًا لتقلبات الفصول الأربعة ، أما هو فربيع دائم . سيكون طليعة كون جديد . أول مستكشف للحياة بلا موت . أول رافض للراحة الأبدية . القوة الظاهرة الخفية . إنما يخشى الحياة الضعفاء (...) لا خوف من الزمن بعد اليوم . فليهدد غيره بجريانه المنحوس . لن يبتلى بالتجاعيد ولا بالشيب ولا بالوهن . لن تخونه الروح . لن يحمله نعش . لن يضمه قبر . لن يتحلل هذا الجسد الصلب . لن يتحول إلى تراب . لن يذوق حسرة الوداع (...) مباركة هذه الحياة الأبدية ! (جلال صاحب الجلالة ٥٨) .

(خواطر جلال الذى تحالف مع الجان لحيازة الخلود)

فى جوف الليل تسلل إلى المئذنة . رقى سلمها درجة درجة حتى انتهى إلى شرفتها العليا . تحدى جو الشتاء القارص فى تسلطه الشامل على الوجود . تطاول رأسه إلى مهرجان النجوم الساهرة المنتشرة فوقه كمظلة . آلاف الأعين تومض فوقه ، وكل شئ تحته غارق فى الظلام . لعله لم يصعد ولكن قامته طالت كما ينبغى لها . عليه أن يرتفع ، أن يرتفع دائمًا ، فلا سبيل إلى النقاء إلا بالارتفاع . وفوق القمة تسمع لغة الكواكب ، وهمسات الفضاء ، وأمانى القوة والخلود ، بعيداً عن أنات الشكوى والخور وروائح العفن . الآن تشدو ألحان التكية بأغنيات الخلود ، وتعرض الحقيقة العشرات من وجوهها الخفية ، وينكشف الغيب عن شتى المصائر . من هذه الشرفة يستطيع أن يتابع الأجيال فى تعاقبها ، وأن يلعب لكل جيل دوراً ، وأن ينضم بصفة نهائية إلى أسرة الأجرام السماوية .. (جلال صاحب الجلالة ٦٤)

(جلال متوهمًا الانتصار على الموت وحيازة الخلود)

مرت الأيام لا يخشى من مرورها . وتتابعت الفصول بلا جزع . وارتفعت الإرادة الصلبة فوق قوى الطبيعة المتصارعة . ولم يعد الغيب يضمر مايخيف . (جلال صاحب الجلالة ٦٨)

(جلال متوهما الخلود)

ثمة حقيقة تنشب أظافرها فى لحمه وهى أن الأمس لايمكن أن يرجع أبداً . (الأشباح ٤٩) .

أفراح القبة

آه لو أن الرجوع فى الزمان ممكن مثل الرجوع فى المكان . (كرم يونس)

ليالى ألف ليلة

انظرْ ماذا يفعل الزمان والمكان ! (نور الدين ودنيازاد ١٧)

اللهم حرِرْنى من أمسٍ ! اللهم حررنى من غدٍ ! (علاء الدين أبو الشامات ١)

العائش فى الحقيقة

الخير لا ينهزم ، والشر لا ينتصر ، ولكننا لا نشهد من الزمان إلا اللحظة العابرة ، والعجز والموت يحولان بيننا وبين رؤية الحقيقة . (بك)

خمارة القط الأسود

ما أعجزنا عن أن نرجع دقيقة واحدة إلى الوراء ! (صورة)

حكاية بلا بداية ولا نهاية

التغير هو الشئ الوحيد الخالد . (حكاية بلا بداية ولا نهاية)

الشيطان يعظ

خُيِّل إلىّ أنى أسمع دبيب الزمن وهو يجد فى سيره . أجل الزمن يسير وهذا صوته . بل المؤكد أنه لم يتوقف لحظة عن السير فأين كان يختبئ ؟ متى وكيف بلغت الخمسين ؟ (أيوب) .

رأيت فيما يرى النائم

للزمن نصل حاد وحاشية رقيقة . (الحلم رقم ١)

التنظيم السرى

تتقدم الأيام فيكثر كل شئ سئ ويقل كل شئ حسن . (عندما يأتى الرخاء)

صباح الورد

إنما النقمة أن تكون لنا ذاكرة ولكنها أيضا النعمة الباقية . (صباح الورد)

لعله من حسن حظ الحشرة الهائمة فى القمامة ألا يكون لها ذاكرة أو خيال . (أسعد الله مساءك)

نفايات الدهر الغليظ تتوارى فى أركانها المظلمة أجمل الذكريات . (أسعد الله مساءك)

الفجر الكاذب

كيف تتلاشى السعادة بعد أن تكون أقوى من الوجود نفسه ؟ تتطاير من القلوب لتعلق بأجواء الأماكن بعد اندثار مصدرها ، ثم تقع كالأطيار على الأرض الجافة فتزخرفها بوشى أجنحتها ثوانى من الزمن ؟ (يوم الوداع)

أتحدث إليكم

الزمن بالنسبة للفرد هو هادم لذاته ومفنى شبابه وصحته والقاضى على أصدقائه وأحبائه .

والموت هو النهاية .. هو الفناء .. ولقد خرجت بدرس من تأملى للزمن والموت هو أن أنظر إليهما بعين الإنسان الاجتماعى لا الفردى .. هما أمام الفرد مصيبة .. لكنهما أمام الاجتماعى وهم ، أو لا شئ ففى أى لحظة ستجد مجتمعا واسعًا ومركزاً مشعًا بالحضارة .

ماذا يفعل الموت بالمجتمع البشرى ؟ لا شئ .. ففى أية لحظة ستجد مجتمعًا يعج بالملايين . (مقابلة مع فاروق شوشة) .

الزمن (...) يمثل روح الإنسان المتطورة النامية ، وهو الحافظ لتجربة الإنسان فى الحياة ، ولذلك فهو وإن مثل للفرد الفناء ، فإنه يمثل للنوع الخلود . (مقابلة مع ألفريد فرج)

٧ فى القضاء والقدر

عبث الأقدار

القدر يقضى بما ليس فى مقدور إنسان دفعه . (ف ٣١)

رادوبيس

مصادفة . إن هذه الكلمة (...) مهضومة الحق ، يظن بها التخبط والعمى ، ومع هذا فهى المرجع الوحيد لأغلب السعادات وأجلّ الكوارث . (الصندل)

ما المصادفة ؟ إنها قضاء مُقَنَّع . (فرعون)

القاهرة الجديدة

ما الذى منعه من أن يكون أحد هؤلاء الشبّان [الأثرياء] ؟ الدنيا جميعًا ! القوى الكونية التى خلقت التاريخ ، وصنعت الطبقات ، وقسمت الحظ ، وجعلت عبد الدائم أفندى أباه ، والقناطر مسقط رأسه . (ف ٢١)

السراب

فى نشوة من نشوات السلام تراءت لى آلامى كخيط رقيق من نسيج القضاء المهيمن على كل شئ فنزعت إلى الرضى والتسليم ودوّم بنفسى صفاء روحى . سما بى إلى ذروة البهجة فوق المنى فكأن القلب يعلو غصنًا من أغصان الجنة تهدل عليه حمامة السلام . (ف ٥٠)

بداية ونهاية

الحق أننا نغالى فى تحميل الله مسئولية مصائبنا الكثيرة . ألا ترى أن الله إذا كان مسئولاً عن موت والدنا فليس مسئولاً بحال عن قلة المعاش الذى تركه ؟ (ف ٨)

قصر الشوق

لفّه شعور بأنه ضحية اعتداء منكر تآمر به عليه القدر وقانون الوراثة ونظام الطبقات (...) وقوة خافية غامضة لم يشأ أن يسميها . وتراءى له شخصه التعيس وهو يقف وحده أمام هذه القوى مجتمعة وجرحه ينزف فلا يظفر بآسٍ . (ف ٣٠) (خواطر كمال)

اللص والكلاب

سأنقضّ فى الوقت المناسب كالقدر ! (ف ١)

فلتحفظْك الصدفة إنْ أعوزك العدل والرحمة . (ف ١٧)

سُئِل « أرأيت رقى نسترقيها ، ودواء نتداوى به ، هل يرد من قدر الله ؟ » فأجاب : «إنه من قدر الله ! » (ف ١٧)

السمان والخريف

استحكم الشتاء وأمسى الجو كالغيب لا أمان له . (ف ١٦)

المرايا

إنه الحظ (...) وكل ما عداه باطل . (فتحى أنيس)

... غادر مسكنه فى الثامنة مساء ، فزلّت قدمه فوق قشرة موز ، ففقد توازنه وسقط ، فارتطم رأسه بحافة الطوار وسرعان ما فاضت روحه فى ثوان معدودات أمام باب العمارة . (جعفر خليل)

حضرة المحترم

المصائر تتقرر (...) بفضل الإرادات المتصارعة والقوى المجهولة ثم تتقدس فى الأبدية . (ف ٣)

يصادف الحائرون احتمالات ثرية للسعادة فى ظروف غير مناسبة . حين يتفق المكان مثلا ويختلف الزمان ، أو العكس ، مما يقطع بأن السعادة كائنة ولكن السبل ليست ممهدة دائما ، ومن اللعب بين هذا وذاك يجئ الحظ السعيد أو العبث . (ف ٣٤)

الحرافيش

البسمة قدر والدمعة قدر . (عاشور الناجى ٢٢)

ليس أتعس من الحظ السيئ إلا الرضى به . (شهد الملكة ٢٢)

ما قُدِّر كان ! (شهد الملكة ٧٢)

عصر الحب

(...) الألاعيب القاتلة (...) تصادفنا ونحن نَجِدُّ فى سبيل السعادة . (ف٢٤)

ليس بوسعنا أن نسيطر علي خطة كاملة ، إذ إن غيرنا يشاركنا ونحن لا ندرى - فى تأليفها . (ف ٢٦)

الباقى من الزمن ساعة

الحظ لا قانون له . (الطبعة الأولى ص ٩)

التنظيم السرى

كان من الممكن أن يحدث غير ذلك فما هى إلا احتمالات تطاول احتمالات . (السيد «س»)

٨ في المـــوت

خان الخليلى

مـا جـدوى العناد فى هذه الدنيـا ؟ إذا كنا نموت كـالسـوائم ونـتن فلمـاذا نفكر كالملائكة ؟ هبنى ملأت الدنيا مؤلفات ومخترعات فهل تحترمنى ديدان القبر ؟ (ف ٢)

زقاق المدق

صار الموت شغله الشاغل (...) ، وما انفك يفكر فى ساعة الاحتضار (...) ذاك الرقاد المستسلم الأليم ، وصعود الصدر وهبوطه ، وهذه الحشرجة المتقطعة ، وإظلام المقلتين ، وبين هذا وذاك تنتزع الحياة من الأعـماق والأطراف ، وتودِّع الروح الجسد ، أفيقع كل هذا فى يسر ؟ ! إن الإنسان ليجن إذا انتزع ظفره ، فكيف يكون إذا انتزعت روحه وحياته ؟! . ولا يدرى إلا المحتضر نفسه حقيقة هذا الألم ، فما نستطيع أن نلمس غير آثار الاحتضار الظاهرة ، أما صداها فى الروح ورجعها فى الجسد ، فسر الميت الذى ينطوى عليه صدره ، ويقبر معه فى جدثه ، وآخر ذكرياته عن آلام الدنيا فى أفظع حالاتها وأبشعها . ولو أنه أتيح لميت أن ينطق عن عذاب احتضاره لما نعم إنسان بساعة صفو واحدة فى الحياة ، ولمات الناس ذُعراً قبل أن تدركهم النهاية .

(...) ولم يكن الاحتضار بفزعه الوحيد ، فقد انجذبت أفكاره المحمومة نحو ضجعة الموت نفسها (...) وصوّر له خياله وثقافته المتوارثة عن الأجيال ، إن بعض شعوره سيلازمه بعد الموت ، أليس الأحياء يقولون : إن عينى الميت تريان من يحدقون

به من الأهل ؟ .. فحتم أن يرى الموت جهرة ، وأن يشعر بالنهاية الأبدية وهى تشتمله ، وأن تتصل حواسه بظلمة القبر ووحشته وغربته وهياكله وعظامه وأكفانه ، بل بضيقه واختناقه ، وما يحتمل أن يتردد فى النفس من أشواق وحنين وحب للدنيا وأهلها ! (...) ولم ينسَ ما وراء ذلك من بعث ونشور وحساب وعذاب ، أواه . ما أبعد الشقة بين الموت والجنة ! (ف ٢٩) (خواطر السيد سليم علوان بعد إصابته بذبحة صدرية)

السراب

ما جزاء الميت عندنا معشر الأحياء - إذا واراه التراب ؟ أنْ نفرّ من ذكراه كما نفر من الموت نفسه ! (ف ٢)

الموت كارثة فظيعة بَيْد أنه غير مُقْنِع ! ألم أكن أحدثها [زوجته] منذ ساعتين ؟ ألم تكن كالوردة اليانعة منذ يوم أو يومين ؟ فكيف أصدق أنها صارت وأول ميت منذ ملايين السنين سواء ؟ (ف ٦٢)

بداية ونهاية

الموت أرحم من الأمل . لست أعجب لهذا فالموت من صنع الله والأمل وليد حماقتنا . (ف ٥٦)

قصر الشوق

لا محيد من الموت ، الناس يموتون بسبب أو بآخر وبلا سبب على الإطلاق . (ف١٥)

نعرف الموت معنىً من المعانى ، أما إذا أهلّ ظلّه من بعيد فتدور بنا الأرض . (ف ٤٤)

الإيمان بالله هو الذى جعل فى الموت قضاء وحكمة يبعثان على الحيرة ، وهو ليس فى الحقيقة إلا نوعًا من العبث (...) إن الموت يتبع قوانين «النكتة» بدقة ، ولكن كيف لنا أن نضحك ونحن هدف النكتة ! (ف ٤٣)

السكرية

ما هذا ياربى ؟ ما هذا الذى تفعله ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ أريد أن أفهم . (ف ٢٤) (عائشة لدى موت ابنتها الشابّة)

أين محطة الموت لأغادر مركبة الحياة المملة ؟ (ف ٣٠)

ميزة الإنسان على سائر المخلوقات هى أنه يستطيع أن يقضى على نفسه بالموت بمحض اختياره ورضاه . (ف ٥٣)

اللص والكلاب

يا للعدد العديد من المقابر . الأرض تمتد بها حتى الأفق . رافعة أيديها فى تسليم وإنْ يكن شئ لا يمكن أن يهددها . مدينة الصمت والحقيقة . ملتقى النجاح والفشل والقاتل والقتيل . مجمع اللصوص والشرطة حيث يرقدون جنبًا إلى جنب فى سلام لأول ولآخر مرة . (ف ١٠)

وإذا بالضوء الصارخ ينطفى بغتة فيسود الظلام . وإذا بالرصاص يسكت فيسود الصمت . وكف عن إطلاق النار بلا إرادة . وتغلغل الصمت فى الدنيا جميعًا . وحلت بالعالم حال من الغرابة المذهلة . وتساءل عن ... ولكن سرعان ما تلاشى التساؤل

وموضوعه على السواء وبلا أدنى أمل . وظن أنهم تراجعوا وذابوا فى الليل . وأنه لابد قد انتصر . وتكاثف الظلام فلم يعد يرى شيئًا ولا أشباح القبور . ولا شئ يريد أن يرى . وغاص فى الأعماق بلا نهاية . ولم يعرف لنفسه وضعًا ولا موضعًا ولا غاية . وجاهد بكل قوة ليسيطر على شئ ما ، ليبذل مقاومة أخيرة . ليظفر عبثا بذكرى مستعصية . وأخيرًا لم يجد بُداً من الاستسلام فاستسلم بلا مبالاة ... بلا مبالاة .. (ف ١٨) (الفقرة الأخيرة من الرواية فى وصف مصرع سعيد مهران)

السمان والخريف

إننا نجرب الموت – ونحن لاندرى – مرات ومرات فى أثناء حياتنا قبل أن يدركنا الموت النهائى . (ف ٢٨)

الشحاذ

لا حقيقة ثابتة فى (الصحف) إلا صفحة الوفيات . (ف ٣)

لماذا يلح الموت على تذكيرنا بنفسه بين كل عمل وآخر ؟ (ف ١٢)

القتل هو الوجه الخلفى للخلق وهو تكملة الدورة الملغزة التى لا تتكلم . (ف ١٣)

ثرثرة فوق النيل

- لا علاقة بين شيء وشيء !

- ولا حتى بين طلقة رصاصة وموت إنسان ؟

- ولا هذا ، فالرصاصة اختراع معقول ، أما الموت ... ! (ف ٧)

إنهم يعيشون بلا عقيدة ، يقضون أوقاتهم فى العبث لينسوا أنهم سيتحولون بعد قليل إلى رماد وعظام وبرادة حديد وأزوت ونيتروجين وماء ، ويرهقهم فى ذات الوقت أن الحياة اليومية تفرض عليهم ألواناً من الجدية الحادة التى لا معنى لها ، وأن مجانين من حولهم يهددونهم بالنسف فى أى لحظة . (ف ١٣)

حضرة المحترم

إن ما يوفر لنا بعض الطمأنينة هو اعتقادنا بأن الموت منطقى ، يمارس وظيفته من خلال مقدمات ونتائج . ولكنه كثيراً ما يدهمنا بلا نذير كزلزال . (ف ٣٠)

تفحَّصَ القبر بإعجاب . كان بابه مفتوحاً ، والسلم يرى فى تدرجه نحو المنامة متألقاً بنور الشمس . وانحنى قليلاً ليلقى نظرة على أرضه المنبسطة الجديدة المكللة بالضوء والنقاء والنظافة . وشعر باطمئنان غريب غير متوقع . فها هو البيت الباقى قد أعد (...) وبخلاف المتوقع أيضا انبجس من أعماقه شعور ناعم غريب يدعوه بهمس

كالغزل إلى الرقاد فوق الأرض النظيفة المضيئة (...) نداء مجهول ودّ (...) لو يطيعه منفضاً يديه من الدنيا بكل همومها وآمالها . (ف ٣٢)

قلب الليل

مازلنا نموت مخلفين وراءنا أملاً قد تحقق أو نُسى ، وسبع خيبات تؤرقنا حتى الاحتضار . (ف ٤)

صورة وجهه لا يمكن أن تُنسى ، أعنى بعد أن غرزت النصل الحاد فى عنقه ، وجهه وهو ينطفى هابطاً إلى قرارة الظلمة ، وهى يتخلى عن المعركة ويستسلم للمجهول ، وهو يتخلى عن الجدل والذكاء والمجد وكل شيء . (ف ٧)

الحرافيش

وانقضّ عليها بغتة . بكل وحشية وجنون طوق عنقها بيديه . شد بقوة حتى ثمل بالعنف وتمادى فى القتل . ودافعت رضوانة عن حياتها بيدين عاجزتين ، بانتفاضات عشوائية ، بصرخات لم تخرج ، باستغاثات لم تسمع ، بأمانى لم تذعن ، بيأس بدد النور والأشياء .

مضت تسترخى ، تستسلم ، تهن ، تهمد ، معلنة العدم .. (الحب والقضبان ٤٨)

تذكرٌ بوجد الثاوين فى القبور والضائعين فى المجهول . العواطف المشبوبة التى لم تنهل من رحيق الحياة . الآمال التى تلاشت فى الأبدية . الأحلام المنطلقة من وحدة السكون مثل الشهب . (المطارد ٤)

لمَ يضحك الإنسان ؟ لمَ يرقص بالفوز ؟ لمَ يطمئن سادراً فوق العرش ؟ لمَ ينسى دوره الحقيقى فى اللعبة ؟ ولمَ ينسى نهايته المحتومة ؟ (جلال صاحب الجلالة ٣)

لماذا الموت ؟ (جلال صاحب الجلالة ٨)

رنا إلى الجثة المسجاة طويلاً . طوى الغطاء عن الوجه . إنه ذكرى لا حقيقة . موجود وغير موجود . ساكن بعيد منفصل عنه ببعد لا يمكن أن يقطع . غريب كل الغرابة ، ينكر ببرود أى معرفة له . متعال متعلق بالغيب . غائص فى المجهول . مستحيل غامض مندفع فى السفر . خائن ، ساخر ، قاس ، معذب ، محير ، مخيف ، لا نهائى ، وحيد . (جلال صاحب الجلالة ٢٥)

(جلال أمام جثة عروسه)

يوجد شيء حقيقى واحد (. . .) هو الموت . (جلال صاحب الجلالة ٢٨)

كيف هى الآن فى قبرها ؟ . قربة منتفخة تفوح منها روائح عفنة ، وتسبح فى سوائل سامة ترقص فيها الديدان . لا تحزن على مخلوق سرعان ما انهزم . لم يحفظ العهد . لم يحترم الحب . لم يتمسك بالحياة . فتح صدره للموت . إننا نعيش ونموت بإرادتنا . ما أقبح الضحايا . دعاة الهزيمة . الهاتفون بأن الموت نهاية كل حى . وبأنه الحق . إنه من صنع ضعفهم وأوهامهم . نحن خالدون ولا نموت إلا بالخيانة والضعف . (جلال صاحب الجلالة ٣١)

(خواطر جلال حول عروسه التى خطفها الموت)

ما جدوى الحزن ؟ ما فائدة السرور ؟ ما مغزى القوة ؟ ما معنى الموت ؟ لماذا يوجد المستحيل ؟ (جلال صاحب الجلالة ٣٨)

الموت يطارده دائماً (...) سيذوى بهاء هذا الجمال المتألق . ستتقوض أعمدة هذه القوة الشامخة . سيرث المال قوم آخرون (...) ستعقب الانتصارات هزيمة أبدية . (جلال صاحب الجلالة ٤١)

أفراح القبة

تسلل إلىّ صوت الفناء الساخر ينذرنى بأننى قد انتهيت . لقد عبث بى ما شاء له

العبث ثم غادرنى مكشراً عن أنياب القسوة والإعدام . (عباس كرم يونس)

العائش فى الحقيقة

لِمَ تبتسم كأنك لن تموت ؟ (بنتو)

لِمَ هذا الجهد كله طالما أننا كلنا سنموت ؟ (بنتو)

دنيا الله

بواعث القتل متعددة تعدد البواعث على الحياة . (ضد مجهول)

حكاية بلا بداية ولا نهاية

أهم ما فى الحياة هو الموت ! (حكاية بلا بداية ولا نهاية)

تحت المظلة

الكمال للموت وحده ! (مشروع للمناقشة)

الحب فوق هضبة الهرم

الخوف من الموت أكبر لعنة سلطت على البشر . (السماء السابعة)

اندفعت إلى العبور دون أنا ألتفت يمنة كما ينبغى لى . وإذا بسيارة تنقض على كالقذيفة . نظرت نحوها فأيقنت بالنهاية . لا وقت للرجوع ولا للتقدم . استسلمت استسلاماً نهائياً وتقوس ظهرى لتلقى الضربة القاضية . تجلت لى حقيقة الموت لا كفكرة مجردة مسلم بها ولكن كشعور يملأ الوجدان بثقله وقوته وإقناعه . صرخ بى أن هكذا أجىء عندما يتقرر ذلك وهكذا تنتهى الحياة فى غمضة عين . خيّل إلىّ أنى رأيت وجهه مجسداً فى اللحظة الخاطفة التى لا يكشف عن وجهه إلا فيها .

وحيال نظرته الواثقة مر بسرعة البرق شريط حياتى من المهد إلى اللحد لا وجهه أدرى كيف أصفه ولا حياتى أدرى كيف رأيتها مجتمعة فى أقل من ثانية . وبلغ الخوف الدرجة التى يفقد فيها الشعور بذاته . (الحب فوق هضبة الهرم)

الشيطان يعظ

يدب الفناء فى الوليد منذ اللحظة الأولى . (الحب والقناع)

التنظيم السرى

ترى ما مذاقك أيها الموت ؟ وكيف تحلّ إذا حللت ؟ (السيد «س»)

صباح الورد

ألا ما أكثر الراحلين ! كأن الوجوه لم تشرق بالسناء والسنى فى ظلمات الوجود وكأن الثغور لم ترقص بالضحك . (أم أحمد)

أتحدث إليكم

ما دامت الحياة تنتهى بالعجز والموت فهى مأساة . بل إن تعريف المأساة لا ينطبق على شىء كما ينطبق على الحياة . وقد نرى هذه المأساة مبكية ، وقد نراها مضحكة ، وقد نراها مبكية - مضحكة ، ولكنها على أى حال مأساة . وحتى الذين يرون الحياة معبراً للآخرة ، فتعريف المأساة ينطبق على جزئها الأول وإن انقلبت إلى غير ذلك عند شمولها ككل . ولكن مأساة الحياة مركبة وليست بسيطة . أجل ، إن تفكيرنا فى الحياة كوجود يجردها من كل شىء إلا من الوجود والعدم . ولكن تفكيرنا فيها كمجتمع يرينا مآسى كثيرة مفتعلة من صنع الإنسان ، كالجهل والفقر والاستعباد

والعنف والوحشية إلى آخره . وهذا يبرر تأكيدنا على مآسى المجتمع ، إذ إنها مآسى يمكن معالجتها . ولأننا فى معالجتها نخلق الحضارة والتقدم . بل إن التقدم قد يخفف من بلوى المأساة الأصلية وقد يتغلب عليها . (...)

إن معالجة الشرور الاجتماعية بالاشتراكية يفرغ الإنسان لمعالجة مأساته الأولى وهى الموت . (مقابلة مع غالى شكرى)

مشكلة الموت يمكن التغلب عليها بطرق مختلفة .. باعتناق عقيدة الخلود بعد الموت .. باعتناق المبدأ العلمى البسيط : ما يوجد لا يعدم ، إذ إن العلم يعرف التحول ولا يعرف العدم .. أو بالتطلع إلى انتصار بعيد جداً يستخدم الإنسان فى تحقيقه كل ما وهب من قوى روحية ومادية . (مقابلة مع ألفريد فرج)

٩ فى المَعْنَى والعبث

السكرية

ربما كان من الخطأ أن نبحث فى هذه الدنيا عن معنى بينما أن مهمتنا الأولى أن نخلق هذا المعنى . (ف ٣٥)

اللص والكلاب

دهمه شعور بأنه عَبَثٌ وأن الليل خارج النافذة يتنفس حزناً أصيلاً . (ف ١٠)

لست أطمع فى أكثر من أن أموت موتاً له معنى . (ف ١٤)

جاءت الكلاب وانقطع الأمل . ونجا الأوغاد ولو إلى حين . وقالت حياته كلمتها الأخيرة بأنها عبث . (ف ١٨)

السمان والخريف

لِمَ يا ربى لا تلهمنا ومضة عن معنى هذه الرحلة الشاقة المخضبة بالدماء ؟ ولِمَ لا ينطبق هذا البحر الذى شهد الصراع منذ الأبدية ؟ ولِمَ تأكل هذه الأرض الأم أبناءها عند المساء ؟ (ف ١٣)

سارا جنباً إلى جنب فى طريق شبه خال ونصف القمر مرشوق فوق الأفق كابتسامة

كونية فى سماء صافية . وخطر له خاطر وهو أن هذا الجمال المنتشر فى نظامه البديع ما هو إلا قوة مجهولة ساخرة تجبر الإنسان على الشعور بحدة تعاسته وفوضاها . (ف ٢٧)

الطريق

آه .. الذكرى التى تموت وهى على طرف اللسان . وتشكيلات السحب التى تعبث بها الرياح (...) والسؤال الأعمى والجواب الغشوم . (ف ١٧)

الشحاذ

ألا يضجر النيل تحتنا . (ف ٢)

ضجر يضجر أضجر فهو ضجر وهى ضجرة والجمع ضجرون وضجرات . (ف ٢)

القلب لم يعد يفرز إلا الفراغ . وبين النجوم يترامى الفراغ والظلام وملايين السنين الضوئية . (ف ٤)

- تصوَّرْ أن تكسب القضية اليوم وتمتلك الأرض ثم تستولى عليها الحكومة غداً !

- المهم أن نكسب القضية . ألسنا نعيش حياتنا ونحن نعلم أن الله سيأخذها ؟ (ف ٥)

ها هى موجة تعلو علواً غير عادى ، ثم تتكسر عن أطنان من الزبد ، ثم تنداح فى تدهور مسلمة الروح . (ف ٥)

الرنين الأجوف لا يصدر عن إناء ممتلىء . (ف ١١)

تخيَّلَ أنه استحوذ على قوة سحرية وراح يستعملها فى تسلية الناس . كأن يخفى فى غمضة عين دار الأوبرا حتى يتجمع الناس ذاهلين ، ثم يعيدها فى غمضة عين حتى

يتصايح الناس من الذهول . ما أحوج الناس إلى جرعات مماثلة من السحر ! (ف ١٢)

القلب مضخة تعمل بواسطة الشرايين والأوردة ، ومن الخرافة أن تتصوره ، وسيلة إلى الحقيقة (...) ولن تبلغ أى حقيقة جديرة بهذا الاسم إلا بالعقل والعلم والعمل . (ف ١٦)

لم يبق من تسليات إلا أن أرقص فوق قمة الهرم أو أقفز من فوق أعلى جسر إلى قاع النيل ، أو أقتحم الهيلتون عارياً .

هل تكمن حقيقة كل شىء فى اللا شىء ؟ (ف ١٧)

كل شىء له معنى . (ف ١٩)

لا شىء فى الوجود عبث . (ف ١٩)

ثرثرة فوق النيل

عليه أن يعد البيان من جديد . حركة الوارد . لا حركة البتة فى الحقيقة . حركة دائرية حول محور جامد . حركة دائرية تتسلى بالعبث . حركة دائرية ثمرتها الحتمية الدوار . (ف ١)

تكلّمَ الظلام خارج الشرفة فقال لا تكترث لشىء . (ف ٣)

لا يوجد متر مربع من الأرض بمنجاة من الزلزال . (ف ٣)

إذا أردت أن تضحك من القلب حقاً فانظر إلى الأرض من فوق (ف ٣)

أخشى ما أخشاه أن يضيق الله بنا ، كما ضاق كل شىء بكل شىء (...) وكما يضيق الضيق بالضيق . (ف ٣)

يا أى شىء افعل شيئاً فقد طحننا اللا شىء . (ف ٤)

مَن مِن رجال الثورة الفرنسية الذى قُتل فى الحمام بيد امرأة جميلة ؟

وما عدد الذين ماتو من معاصريه بسبب الإمساك المزمن ؟ (ف ٦)

إذا لم يكن فى النجوم من يعنى برصد كوكبنا ودراسة أحوالنا الغريبة فنحن ضائعون . وترى كيف يفسر الراصد مجلسنا الضاحك ما بين اجتماع شمله حتى تقوضه ؟ سيقول ثمة تجمعات دقيقة تنفث غباراً مما يكثر فى الغلاف الجوى للكواكب وتصدر عنها أصوات مبهمة لا يمكن فهمها ما دمنا لم نصل بعد إلى معرفة أى فكرة عن تكوينها . ويزيد حجم التجمعات بين مرة وأخرى مما يدل على أنها تتكاثر بطريقة ما ، ذاتية أو خارجية ، ولذلك فمن غير المستحيل أن يوجد نوع من الحياة البدائية فى ذلك الكوكب البارد خلافاً للرأى القائل باستحالة وجود حياة فى غير الأجواء النارية ، ومن العجيب أن هذه التجمعات الدقيقة تختفى لتعود من جديد ويتكرر الحال على ذاك المنوال دون هدف واضح مما يرجح معه الرأى القائل بعدم وجود حياة بالمعنى الصحيح على الأقل . (ف ٦)

عندما يتوهج فى السماء نور كهذه المجمرة يقول المرصد إن نجما قد انفجر وانفجرت بالتالى مجموعته الكوكبية وانتشر الكل غباراً . وذات مرة تساقط الغبار على سطح الأرض فنشأت الحياة . وتقول لى بعد ذلك سأخصم يومين من مرتبك ! (ف ٧)

جميع هؤلاء (...) تكوينات ذرية . وها هو كل فرد منهم ينحل إلى عدد محدود من الذرات . فقدوا الشكل واللون ، اختلفوا تماماً ، ولم يعد منهم شىء يرى بالعين المجردة ، وليس ثمة هناك إلا الأصوات . (ف ٧)

يضيق الصدر بأى حكمة إلا حكمة تنعى جميع الحكم ! (ف ٩)

عندما نهاجر إلى القمر فسنكون أول مهاجرين يهاجرون من لا شىء إلى لا شىء . (ف ٩)

هل قصد بالمادة الطحلبية ذات الخلية الواحدة أن تتضمن جميع هذه الأعاجيب ؟ (ف ٩)

الجد والهزل اسمان لشىء واحد . (ف ١٢)

استسلم لمنظر الأشجار وهى تطوق الطريق على طوله بإحكام جمالى خارق .

لو تبادلت مواضعها على جانبى الطريق لانهارت المعارف والعلوم . (ف ١٥)

ميرامار

الليل يتبع النهار فى إصرار غبى ولكن لا شىء يحدث على الإطلاق (...) الكون فى الحقيقة قد مات وما هذه الحركات إلا الانتفاضات الأخيرة التى تندّ عن الجثة قبل السكون الأبدى . (حسنى علام)

حكايات حارتنا

أنور جلال جالس على سلم السبيل الأثرى وهو يضحك عاليا . انظر إليه فيخطر لى أنه سكران أو مسطول فأمضى نحوه وأجلس إلى جانبه ثم أسأله :

- ماذا يضحكك ؟

فيجيبنى وهو لا يكف عن الضحك :

- تذكرت أننى طالب بين طلبة متنافسين ، فى مدرسة تجمع بين طلبة الأزقة المتخاصمة ، فى حارة وسط حارات متعادية ، وأنى كائن بين ملايين الكائنات المنظورة وغير المنظورة ، فى كرة أرضية تهيم وسط مجموعة شمسية لا سلطان لى عليها ، والمجموعة ضائعة فى سديم هائل ، والسديم تائه فى كون لا نهائى ، وأن الحياة التى أنتمى إليها مثل نقطة الندى أعيش لأهتم بالأحزان والأفراح ، لذلك لا أتمالك نفسى من الضحك .. (الحكاية رقم ٧٧)

هل تضمن أن تشرق الشمس غداً ؟ (...) - أستطيع أن أراهن على ذلك (...)
- طوبى للحمقى فهم السعداء . (الحكاية رقم ٧٧)

الحرافيش

الشمس ترسل أشعتها بلا جدوى ، هواء الخريف يتموج فى فتور وبلا هدف .
(عاشور الناجى ٤٤)

كل شىء هباء حتى الفوز . (شمس الدين ٥٦)

- إن الله يمتحن من عباده الصديقين .

- لا جديد فهذا ما يقوله الديك عندما يصيح فى الفجر .

(جلال صاحب الجلالة ٢٧)

أفراح القبة

ما أشد الملل ! إنى مثل شيطان حبيس قمقم لا يجد مجالاً للعبث . (كرم يونس)

رحلة ابن فطومة

مللت الكلام . مللت مكابدة الحسرات . مللت أكاذيب الأمل . (دار الحيرة)

الشيطان يعظ

أى سخرية أن تتصور الإنسان لقيطاً فى الكون ، تجىء به المصادفة العمياء ثم يندثر بالمصادفة أو العجز . (الحب والقناع)

رأيت فيما يرى النائم

هل يوجد فى قلب هذا الكون هدف أو معنى ؟ (من فضلك وإحسانك)

١٠ فى الأخلاق

القاهرة الجديدة

مهما بلغ منى الجوع فلن أصرخ مع الجبناء هاتفا يارب ! (ف ١٥)

إن أجمل حكمة هى التى تقول : «إذا خلا رجل بامرأة كان الشيطان ثالثهما» فأين هذا الشيطان ليجثو بين يديه ، ويلثم قدميه ؟ (ف ١٧)

«أ أموت جوعاً ؟ فلا نزل القطر ! فلا نزل القطر !» كيف يموت جوعاً ثائر على جميع القيود ؟ كيف يموت جوعاً كافر الضمير والعفّة والدين والوطنية والفضيلة جميعاً ؟

وهل جاع فى هذه الدنيا أحد ممن يتصفون بالرذيلة ؟ (ف ١٨)

بداية ونهاية

إنى أعيش فى هذه الدنيا على افتراض أنه لا يوجد بها أخلاق ولا رب ولا بوليس . (ف ٣١)

أليس الدور الذى يلعبه الشيطان فى هذه الدنيا أخطر من أدوار الملائكة مجتمعين ؟ (ف ٨٦)

بين القصرين

كان أبوك رحمه الله مولعا بالنساء فتزوج عشرين مرة ، فلماذا لا تنتهج سبيله

وتتنكب طريق المعاصى ؟ (ف ٧) . (الشيخ متولى عبد الصمد ينصح السيد أحمد عبد الجواد)

لا تنسَ يا شيخ متولى أن غوانى اليوم هى جوارى الأمس واللاتى أحلّهن الله بالبيع والشراء . (ف ٧)

(كان) يؤدى الصلاة ويدعو الله أن يغفر له ويعفو عن ذنوبه ، دون أن يسأله التوبة كأنما يشفق فى أعماقه أن يستجاب دعاؤه فينقلب زاهداً فى اللذات التى يحبها حباً لا يرى للحياة بدونه معنى . كان يعلم علم اليقين أن التوبة واجبة ، وأن مغفرة . لن تكتب له بدونها ، ولكنه كان يرجو أن تجىء فى الوقت «المناسب» حتى لا يخسر الدارين . (ف ٦١)

اللص والكلاب

الدنيا بلا أخلاق ككون بلا جاذبية . (ف ١٤)

– من يستطيع أن يحكم عن الغد ؟

– عملنا ! (ف ١٤)

مهنتكَ (السرقة) مشروعة ، مهنة السادة فى كل زمان ومكان . (ف ١٥)

السمان والخريف

لما لا يسود النقاء ؟ وما الذى حال دون ذلك طوال القرون ؟

وهل يوجد فى مكان ما من الأرض إنسان يعيش بلا خوف ولا رذائل ؟ (ف ٢٠)

تساءل ألا يمكن أن يؤكد انتسابه إلى الإنسان ويتناسى انتسابه الجبرى إلى هذا الوطن ؟ (ف ٢٥)

الطريق

السجن كالجامع مفتوح للجميع ، وأحياناً يدخله إنسان لنبل فى أخلاقه لا لإعوجاج . (ف ٢)

الشحاذ

ثمة آلام أعنف من ترف الضمير ! (ف ٨)

الإنسان إما أن يكون الإنسانية جمعاء وإما أن يكون لا شىء . (ف ١٦)

عندما نعى مسؤوليتنا حيال الملايين فإننا لا نجد معنى للبحث عن معنى ذواتنا . (ف ١٦)

ميرامار

إنى سعيد بحريتى . لا ولاء عندى لشىء . سعادة عظمى ألا يكون لك ولاء لشىء . لاولاء لطبقة أو وطن أو واجب .

لا أعرف عن دينى إلا أن الله غفور رحيم . فريكيو ، لا تلمنى ! (حسنى علام)

المرايا

اسعفوه بوظيفة يمكن أن تدّر عليه رشوة ! (فتحى أنيس)

بتّ أعتقد أن الناس أوغاد لاخلاق لهم ، وأنه من الخير لهم أن يعترفوا بذلك ، وأن يقيموا حياتهم المشتركة على دعامة من ذلك الاعتراف ، وعلى ذلك تصبح المشكلة الأخلاقية الجديدة هى : كيف نكفل الصالح العام والسعادة البشرية فى مجتمع من الأوغاد والسفلة ؟ (جاد أبو العلا)

لا غرابة فى أن تبهرنى الأخلاق البناءة كرجل عاصر فترة انهيار فى الأخلاق والقيم لا نظير لها حتى خيِّل إلىّ فى أحيان كثيرة أننى أعيش فى بيت كبير للدعارة .. (رضا حمادة)

جعلت أختلس إليه النظرات متسائلاً ، ترى هل يشب إلى العدوان إذا تهيأت أسبابه ؟ إلى أى مدى تغيرّ حقاً ؟

وكيف ينظر اليوم إلى ماضيه ؟ وبأى صورة يتصّور أمام أبنائه ؟ وهل يطيق أن يُعيد أحد أبنائه سيرته ؟

وألا يُعتبر ثلاثة مهندسين وطبيب كفارة عن أى ماضٍ أسود ؟ وأى الحلين كان أفضل : أن ينجو من القانون ليهدى إلى الوطن أربعة من العلماء ، أم كان يُقبض عليه لتستقر العدالة فوق عرشها ؟ (خليل زكى)

... كنت أتابعهم وهم يصلوّن فى المقهى بعين متأملة ساخرة ، يركعون ويسجدون ويسدلون جفونهم خشوعا وامتثالاً ، وأتذكر كم أنهم أوغاد لصوص لا يحق لهم أن يبقوا ساعة واحدة فوق سطح الأرض ... (زهران حسونة)

... دائما أراه مطمئناً واثقاً من نفسه ، يؤمن بالشر كما يؤمن بالخير ، ويطيع الشيطان كما يطيع الله ، ويتردد بينهما تردد التاجر الماهر فى السوق الحرة الذى يحرص فى النهاية على أن يزيد دخله على منصرفه ... (زهران حسونة)

ترديت كثيراً فريسة لكآبة روحية معتمة كدت أرفض تحت وطأتها التجربة الإنسانية كلها ... (زهران حسونة)

لا تغال فى المثالية وإلامت تقززاً ! (زهران حسونة)

الندم عادة دينية سخيفة . (سالم جبر)

أى وسيلة تنفع للوصول فى هذا العالم المكتظ فهى مشروعة . (صبرى جاد)

نحن فى حاجة إلى طوفان جديد لتمضى السفينة بقلة من الفضلاء ليعيدوا خلق العالم من جديد . (طنطاوى إسماعيل)

عليك بصحبة الأشرار فبفضلهم تعرف نفسك . (عدلى بركات)

المرأة الفاضلة يكفيها زوج وعشيق واحد . (فايزة نصّار)

قولوا فى الدنيا ما شئتم ! لا جديد فى التشاؤم ، ولكن الحياة فى صالح الإنسان ، وإلا ما زاد عدده باطّراد ، وما زادت سيطرته فى دنياه . (ماهر عبد الكريم)

حضرة المحترم

مأساة الآدمية أنها تبدأ من الطين ، وأن عليها بعد ذلك أن تحتل مكانتها بين النجوم . (ف ١٤)

خلق الله الإنسان للقوة والمجد ، الحياة قوة ، المحافظة عليها قوة ، الاستمرار فيها قوة ، فردوس الله لا يبلغ إلا بالقوة والنضال . (ف ١٦)

إن أحداً لا يعلم الغيب ولذلك يتعذر الحكم الشامل على أى فعل من فعالنا ، بيد أن تحديد هدف للإنسان يعتبر هادياً فى الظلام وعذراً فى تضارب الحظوظ والأحداث ،

وهو مثال على ما يبدو أن الطبيعة تترسمه فى خطواتها اللا نهائية . (ف ٢٦)

كيف يُشيم ألق النجوم وهو مغروس حتى رأسه فى الوحل ؟ (ف ٢٨)

هل يستطيع الإنسان فى يوم الحساب أن يقدم خيراً من طموحه النبيل وعمله المقدس وتقدمه الثابت وسجلاً بالخدمات التى أداها للدولة والناس ؟ (ف ٣٣)

قلب الليل

لا خير فى خير يقوم على شر . (ف٤)

أخلاق الرجل - أى رجل - وحدة لا تتجزأ . (ف٤)

الحرافيش

أقرّ لضعفه بالقوة الخارقة . (شهد الملكة ٧٢)

عصر الحب

إننا نأبى التسليم بالمثل العليا من طول انغماسنا فى الماء الآسن . (ف ١)

أفراح القبة

أنا حر أنتمى إلى عصر سابق لقواعد الدين والسلوك . (كرم يونس)

ليالى ألف ليلة

إنه فقير ولكنه غنى بحمل هموم البشر . (علاء الدين أبو الشامات ١٢)

رحلة ابن فطومة

أحِبُّوا (بكسر الحاء) العمل ولا تكترثوا للثمرة والجزاء ! (دار الغروب)

حديث الصباح والمساء

الثراء للأقوياء ، والأخلاق للضعفاء . (نادر عارف المنياوى)

الحب فوق هضبة الهرم

السماء تعدك مسئولاً عن نفسك وعن العالم أجمع . (السماء السابعة)

الشيطان يعظ

ما أكثر العفة المتولدة عن العجز ! (أيوب)

- العمل ضرورة ولكنه ليس الهدف .

- إذن فما الهدف ؟

- لعله التحرر من ضرورة العمل . (أيوب)

الإنسان بلا عمل عرضة للرعب . (الحب والقناع)

المجد لمن يخدم لا لمن يستخدم . (الشيطان يعظ)

ما أكثر الخاطئين ولكن ذوى المبادئ وحدهم هم الذين يدفعون الثمن . (الربيع القادم)

هربتُ أم لم أهرب ستدركنى الحوادث حيثُ أكون . (الربيع القادم)

١١ فى المصريين

عبث الأقدار

كان كالثور المصرى عظيم الخوار عديم الأذى ، لأن طبيعته تمسكت بصفتين لا تتنازل عنهما ولا تخضع فيهما لحكم زمان : فخاره وطيبة قلبه . (ف ٨) (فى وصف «بشارو» مفتش عام هرم خوفو)

قصر الشوق

[هذا] وطن أَجَلُّ مخلفاته قبور وجثث ! انظرْ إلى الجهد الضائع ! (ف ١٧) (حسين شداد مشيرا صوب الهرم الأكبر)

السكرية

إن [المصريين] فى حاجة دائمة إلى الثورة ليقاوموا موجات الطغيان التى تترصد سبيل نهضتهم ، فى حاجة إلى ثورات دورية تكون بمثابة التطعيم ضد الأمراض الخبيثة ، والحق أن الاستبداد هو مرضهم المتوطن . (ف ٤)

كل ابن كلب غرّته قوته يزعم لنا أنه الوصى المختار وأن الشعب قاصر . (ف ٤)

– لا أعرف شعبًا كالشعب المصرى ولعًا بالخوض فى أعراض الأمهات !

– نحن شعب قليل الأدب !

– إن الزمن أدّبنا أكثر مما ينبغى ، والشئ إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده ، ولذلك فنحن غير مؤدبين ؛ ولكن تغلب علينا الطيبة رغم ذلك (...) (ف ٤٨)

اللص والكلاب

أكثرية شعبنا لا تخاف اللصوص ولا تكرههم (...) ولكنهم بالفطرة يكرهون الكلاب . (ف ١٢)

السمان والخريف

سنزداد ضحكًا كلما رأينا التاريخ وهو يصنع لنا دون أن نشارك فيه كأننا الأغوات . (ف ١٣)

ثرثرة فوق النيل

لم يكن عجيبًا أن يعبد المصريون فرعون ولكن العجيب أن فرعون آمن حقًّا بأنه إله . (ف ٣)

منافق ابن منافق ومن سلالة أمّة عريقة فى النفاق ! (ف ٨)

ميرامار

أيها الأنذال ، أيها اللوطيون ، ألا كرامة لإنسان عندكم إن لم يكن لاعب كرة ؟ (عامر وجدى ١)

لقد سلبت (الثورة) البعض أموالهم وسلبت الجميع حريتهم . (عامر وجدى ١)

إنى أتبرأ منكم ! (...) أتبرأ منكم يا فتات العصور البالية ! (حسنى علام)

المرايا

المرأة المصرية هى المخلوق الوحيد الذى يستحق التقدير ، فهى لبؤة ، ويمكنها إذا منحت مزيداً من الحرية إسعاد هذا الشعب الذى يستحق الإبادة ! (عبدالرحمن شعبان)

هكذا أنتم أيها المصريون ، لن تزالوا غارقين فى أوهام الكلمات حتى تموتوا (...) لو لم أكن مصريًا لتمنيت أن أكون مصريًا ! ولِمَ لا تتمنى أن تكون حماراً فيكون لك نفع على الأقل ! (عبد الرحمن شعبان)

كانت له قدرة على الاحتفاظ بأسراره ليست إلا لقلة نادرة من المصريين . (عبد الوهاب إسماعيل)

هل حقًا تعجب بهؤلاء الكتّاب والأدباء ؟ صدقنى إنهم أُميون على المستوى العالمى ! (عبد الرحمن شعبان)

(...) من هو سلامة حجازى ؟ إن أى منادى سيارات فرنسى أعذب منه صوتًا ، ولكن هكذا أنتم أيها المصريون ، لن تزالوا غارقين فى أوهام الكلمات حتى تموتوا . كوكب الشرق . مطرب الملوك والأمراء . سلطانة الطرب . عاهل التمثيل فى الشرق . لو لم أكن مصريا لتمنيت أن أكون مصريا . ولم لا تتمنى أن تكون حمارا فيكون لك نفع على الأقل ؟ نيلة تأخذكم أنتم وبلدكم ! (عبد الرحمن شعبان)

اسمح لى أن أبول على جميع من تحبهم من زعماء وأدباء ومطربين . (عبد الرحمن شعبان)

أتعرف ما هى أكبر نعمة أُغدقت علينا ؟ هى الاستعمار الأوروبى ، وسوف تحتفل الأجيال القادمة بذكراه كما تحتفلون بمولد النبى . (عبد الرحمن شعبان)

لا يغيظنى شئ كما يغيظنى ضربكم الأمثال بعدالة عمر ودهاء معاوية وعسكرية خالد ، عمر شحاذ ومعاوية دجّال وخالد فتوة درجة ثالثة لم يجد من يؤدبه . (عبدالرحمن شعبان)

إن خير ما تمخضت عنه الحضارة المصرية هو الحشيش ، ومع ذلك فما أقبحه

بالمقارنة بالويسكى ! (عبد الرحمن شعبان)

انظر إلى قذارة الشوارع فى قلب المدينة ! سيأتى يوم يطالب فيه الذباب بحقوق المواطن . (عبد الرحمن شعبان)

إنى معجب بالأخلاق الإنجليزية ، فثمة فرق هائل بين لوطى إنجليزى ولوطى مصرى، اللوطى الإنجليزى يحمل لواطه معه إلى أقصى الأرض فلا يمنعه ذلك من خدمة الإمبراطورية حتى الموت ، أما اللوطى المصرى فلا يعرف لنفسه مبدأ أو عقيدة . (عباس فوزى)

حضرة المحترم

الوظيفة حجر فى بناء الدولة ، والدولة نفحة من روح الله مجسدة على الأرض . (ف ٣٦)

حكايات حارتنا

مواسم القرافة تُعدّ من أسعد أيامى البهيجة . (الحكاية رقم ٨)

يوم قتل الزعيم

بين الشعار والبطل هوّة سقطنا فيها ضائعين . (رندة سليمان مبارك ١)

لا يوجد شخص يستحق الاحترام ولا فعل يستحق الثقة ولا وعد يستحق التصديق . (علوان فواز محتشمى ٣)

كم أمة تعيش جنبًا إلى جنب فى هذه الأمة ؟ (علوان فواز محتشمى ٤)

أتحدث إليكم

لم يلق شعب ما لقى الشعب المصرى من الاضطهاد . ومن هذا الموقف تأكدت فيه فضائل يجب أن تبقى ووجدت رذائل يجب أن تذهب . الاضطهاد أكد فيه الصبر الذى استمده من حضارته الزراعية . كما أكد فيه الصمود الذى ينتهى عادة إلى البقاء بدل الفناء . والاضطهاد منعه من الاعتداء على الغير واستبعادهم ، فضعفت غرائز الاعتداء والتوحش ، وحل محلها إنسانية ولطف واستعداد للمعاشرة وهى صفات سيحتاج إليها الإنسان عندما يحل مشاكله ويخلص من الصراع والحروب .

لكن طول الاضطهاد انتهى به إلى اعتياده ، والاستهانة والاكتفاء بالسخرية منه فكثيراً ما سكت حيث يجب أن يصرخ وسخر حيث يجب أن يضرب ، ونافق حيث يجب أن يسكت على الأقل . (مقابلة مع فاروق شوشة)

** المصريون لطاف وأهل مودة . يحبون الحياة ويعشقون مسراتها ، وبخاصة المسرات الحسية . وفيهم شئ من طبيعة النمل ، ذلك هو دأب الواحد منهم .. وحتى لو لم تكن همته عالية ، إلا أنها همة متصلة باستمرار .. تثمر فى النهاية عملاً ضخماً . ومن صفات المصريين العجيبة أنهم تمرسوا بالاستبداد . وهم من أقوى الناس على كراهيته وعلى الصبر عليه . إنهم يحتملونه كما يحتمل الشخص مرضاً مزمناً لا يحبه ولكن يصبر عليه . يخيل لى أنهم من أكثر شعوب العالم إحساسا بالحاكم . وسبب ذلك أن الحاكم كان له دائماً وفى كل العصور أثر فى كل تفاصيل حياتهم اليومية .

وتستطيع أن تقول إنهم من الشعوب المتدينة جداً . ويغلب عليهم التعلق بالطقوس والمراسم والعادات الدينية .

وكل الأحاسيس هذه منبثقة من طبيعة أهل القاهرة ، وربما الوجه البحرى ، أما

الصعيد (...) فعند أهله من صفات العنف والقسوة والانتقام ما يظهرهم كأن لهم طبيعة خاصة .

وأن أى نقائص فى الشخصية المصرية - كالقدرية وندرة الروح العلمية والسلبية فى كثير من الأحيان - إنما ترجع إلى ما ورثته من عهود الظلام التى شملتها آلاف السنين (...) (مقابلة مع ألفريد فرج)

١٢ فى القاهرة والإسكندرية

السمان والخريف

عن بعد ترى البحر (...) وقد سحره أكتوبر فأخلد إلى أحلام اليقظة وترى أيضا أسراب السمان تتهاوى إلى مصير محتوم عقب رحلة شاقة مليئة بالبطولة الخيالية . (ف ١٣)

ثرثرة فوق النيل

يا رائحة النيل المضمخة بعبير رحلة طينية مرهقة ! (ف ٤)

ميرامار

الإسكندرية قطر الندى . نفثة السحابة البيضاء . مهبط الشعاع المغسول بماء السماء . وقلب الذكريات المبللة بالشهد والدموع . (عامر وجدى ١)

يعجبنى جو الإسكندرية .. لا فى صفائه وإشعاعاته الذهبية الدافئة .. ولكن فى غضباته الموسمية .. عندما تتراكم السحب وتنعقد جبال الغيوم .. ويكتسى لون الصباح المشرق بدكنة المغيب .. ويمتلئ رواق السماء بلحظة صمت مريب .. ثم تتهادى دفقة هواء فتجوب الفراغ كنذير أو كنحنحة الخطيب .. عند ذاك يتمايل غصن أو ينحسر ذيل .. وتتتابع الدفقات ثم تنقض الرياح ثملة بالجنون .. ويدوى عزيفها فى الآفاق .. ويجلجل الهدير ويعلو الزبد حتى حافة الطريق .. ويجعجع الرعد حاملاً

نشوات فائرة من عالم مجهول .. وتندلع شرارات البرق فتخطف الأبصار وتكهرب القلوب .. وينهل المطر فى هوس فيضم الأرض والسماء فى عناق ندى .. عند ذاك تختلط عناصر الكون وتموج وتتلاطم أخلاطها كأنما يعاد الخلق من جديد . (منصور باهى)

المرايا

انظر إلى قذارة الشوارع فى قلب المدينة ! سيأتى يوم يطالب فيه الذباب بحقوق المواطن ! (عبد الرحمن شعبان)

التنظيم السرى

اشتعل خيالى فانفجرت موجاته فى جميع الأرجاء ولكنه لم يلم بالمدينة اللانهائية . إنها تربض فى أى مجال من مجالات البصر ، كائنًا عملاقًا بلا حدود ولا تناسق ، ملوّحة بآلاف الأذرع والسواعد والأصابع ، تستوى فوقها آلاف مؤلفة من الأبنية الشاهقة المجللة بطابع العصر المتعجرف التياه ، وأخرى متهرئة حال لونها فى قبضة الزمن الجارف وثالثة آيلة للسقوط يلتصق بها سكانها فى استسلام وإصرار ، وفى فجاجها يتلاطم الناس فى صخب ويتلاقون فى غفلة وضوضاء ، وتتابع الباصات والسيارات والكارو والجمال وعربات اليد عازفة أصواتها المتضاربة ، والحوادث كثيرة والأفراح صارخة والجنازات زاعقة والمشاجرات دامية والعناق حار وحناجر تنادى على سلع من الشرق والغرب والجنوب والشمال ، ويختلط الأنين الشاكى بشهقة الحمد والرضا . (النسيان)

١٣ فى الحب

القاهرة الجديدة

إن هزة قلب شئ خطير له من المغزى فى هذا الوجود ما لحركة الأفلاك فى السماوات . (ف ٩)

السراب

الحب ونشوة الخمر من عصير واحد يقطر من صميم الروح ، وهل الحب الموفق إلا سكرة طويلة ؟ (ف ٢٢)

إنى أحبك يا حياتى ، أحبك حبًا هو من أعاجيب الكون ، كدوران الأفلاك سواء بسواء . (ف ٢٦)

للقلب بصر إذا اشتد تَفَرُّسه غطّى على بصر الأعين فينقلب الإنسان أعمى وهو بصير . (ف ٢٣)

هذه لحظة مقدسة [المصارحة بالحب] . أجل إن الزمن لينوء بما يحمل من جلائل اللحظات التى مرت بالإنسانية فى تاريخها ، ولكن هذه اللحظة من أجلّ ما عرف الزمن رغم هذا كله . ولن ينقص منها أنها معادة وأنها تحدث كل يوم آلاف المرات فى بقاع الأرض الواسعة ، فهى الشئ الوحيد المعاد الذى لا يملّ ، وما ينبغى أن يمل وهو يتضمن سرّ الوجود الأعظم ، ألا وهو الحب . (ف ٣٩)

إن الحب الحياة والحياة الحب : لم تكن حياة ثم كان حب ، ولكن كان حب فكانت حياة . (ف ٥٦)

بين القصرين

الحب كالصحة ، يهون فى الوصال ويعزّ عند الفراق . (ف ٤٧)

قصر الشوق

إنك يا حبيبة لا تلحظين . كأنما شيئًا لا يسترعى انتباهك . أو كأنما أنتِ مخلوق بديع غريب استوى فوق الحياة يطالعنا من عل بعينين هائمتين فى ملكوت لا ندريه (...) أنت شعلة من سعادة سادرة وأنا رماد من وجوم وكآبة . تحظين بحرية مطلقة أو تذعنين لسنن فوق مداركنا ، وأنا أدور فى فلكك مجذوبا بقوة هائلة ، كأنك الشمس وكأننى الأرض . (ف ٢)

القاهرة فى غيبتكِ [عايدة شدّاد] خواء تنضح كآبة ووحشة ، كأنها عكارة الحياة والأحياء . ثمة مناظر ومعالم ، ولكنها لا تخاطب وجداً ولا تحرك قلبًا ، كأنها عاديات الدنيا وذكرياتها فى قبر فرعونى لم يفضّ . (ف ٢)

بل أنتِ حالة فىّ ما خفق الفؤاد والفضل لهذا المخلوق السحرى : الذاكرة ، عن إعجازها غفلتَ حتى عرفتك ؛ اليوم أو غدا أو بعد دهر فى العباسية أو رأس البر أو فى أقصى الأرض لن تبرح مخيلتى عيناك السوداوان الساجيتان ، وحاجباك المقرونان ، وأنفك السوى اللطيف ، ووجهك البدرى الخمرى ، وجيدك الطويل ، وقامتك الهيفاء ، وما شئت من سحر يكتنفك مزريًا بكل وصف مسكراً كعرف الفل والياسمين ، لأملكن هذه الصورة ما ملكت الحياة ، وبعد الحياة لنقوضن عوائق وموانع فيكون المصير إلىّ ..

إلىّ وحدى بما أحببت هذا الحب كله .. وإلا فخبرينى عن معنى لهذه الحياة ينشد أو عن طعم للخلود يرام . (ف ٢)

يا أملى وحسرتى (...) يا قضائى وقدرى ! (ف ٢)

(كمال مخاطبا عايدة شداد فى خاطره)

[أنتِ] كالأمنية : الاستظلال بجناحها برد وسلام وإنْ اعتصمت بالمحال . (ف ٢)

لا تزعم أنك سبرت جوهر الحياة إلا أن تحب ، السمع والبصر والذوق والجد واللهو والمودة والظفر مسرات تهون عند من فعم الحب قلبه (...) رباه لم أعد أنا ، قلبى تلاطمه جدران الأضلع ، أسرار السحر تنفث معانيها ، العقل يتمادى حتى يماس الجنون ، اللذة تسطع حتى تعانق الألم ، أوتار الوجود والنفس تجود بالنغم المكنون ، دمى يصرخ مستغيثًا لا يدرى مم يستغيث ، الأعمى يبصر والكسيح يسير والميت يحيا (...) أنت يا إلهى فى السماء وهى فى الأرض . (ف ٢)

أتَذكُر ذلك النداء الذى نزل على غير انتظار ؟ أعنى أتذكر النغمة الطبيعية التى تجسَّمَها ؟ لم يكن قولاً ، ولكن نغمًا وسحراً استقر فى الأعماق كى يغرد دوما بصوت غير مسموع ينصب فؤادك إليه فى سعادة سماوية لا يدريها أحد سواك . كم روّعك وأنت تتلقاه ! كأن هاتفًا من السماء اصطفاك فردد اسمك . سُقيتَ المجد كله والسعادة كلهاَ والامتنان كله فى نهلة واحدة وددت بعدها لو تهتف مستنجداً : «زملونى ! دثرونى ! » (ف ٢)

(كمال يسترجع أحاسيسه حين دعته عايدة باسمه لأول مرة)

الحب طاغية يتيه فوق كافة القيم وفى ركابه يتألق معبودك ، لا تكمله الفضائل ولا تنتقصه المثالب ، النقيصة تلوح فى تاجه الدرى حسنًا يشغفك إعجابًا . (ف ٢)

أيها الناس ، حِبُّوا أو موتوا ! (ف ٢)

« هؤلاء الناس يتحدثون عن الجمال ! ، ماذا عرفوا من كنه الجمال ؟ ، تعجبهم ألوان : بياض العاج ، وسبائك الذهب . سلونى أنا عنه ، ولن أحدثكم عن السمرة الصافية والأعين السود السواجى والقامة الهيفاء والأناقة الباريسية ، كلا ! كل أولئك جميل ، ولكنه خطوط وشكول وألوان تخضع فى النهاية للحواس والقياس . الجمال هزة

فى القلب جارحة وحياة فى النفس عامرة وهيمان تسبح الروح على أثيره حتى تعانق السماوات . حدثونى عن هذا أن استطعتم .. » . (ف ٣)

هاكِ حياتى أكرسها لمعرفتكِ . هل ثمة وراء ذلك ظمأ لعرفان ؟ (ف ٣)

بات يؤرخ بالحب حياته ، فيقول : كان ذلك قبل الحب «ق ح» ، وحدث ذلك بعد الحب «ب ح» . (ف ١٣)

من عينيها نظرة تلقى إليكَ كالرحمة (...) بُعثت كما يُبعث عباد الشمس فى ضوئها المشرق . (ف ١٤)

مناداتها لك ما أطربها ! بصوت لا تدرى كيف تصفه ، لا رفيع النبرة ولا غليظها ، مثل «فا» السلم الموسيقى المنبعثة من كمان . رنينه فى صفاء النور ، ولونه لو تخيلت له لونًا فى زرقة السماء العميقة ، دافئ الإيماء ، داعية إلى السماء . (ف ١٥)

كلمات المعبودة عاطلة عن حكمة الحكماء ودرر الأدباء ، فما بالها تهزك حتى الأعماق وفى فؤادك تفجر ينابيع السعادة ! هذا الذى جعل السعادة سراً تتيه فيه العقول والأفهام ، أيها المجدّون اللاهثون وراء السعادة إنى وجدتها فى الكلمة الفارغة والرطانة الغامضة والصمت أيضا وفى لا شئ . (ف ٩١٧

أنت تمشى فى معية عايدة فى صحراء الهرم ، تأمل هذه الحقيقة الرائعة واهتف بها حتى تسمع بناة الهرم ، معبود وعابده يسيران معًا فوق الرمال ، العابد من شدة الوله يكاد يذروه الهواء والمعبود يتسلى بعد الحصى ، لو كان مرض الحب معديًا ، ما باليت بآلامه ، الهواء يهفو بأهداب فستانها ويتخلل هالة شعرها ويسرى فى أعماق صدرها .. ألا ما أسعد الهواء ، أرواح العاشقين فوق الهرم تبارك القافلة معجبة بالمعبود راثية للعابد مرددة بلسان الزمان : ليس أقوى من الموت إلا الهوى ، تراها على بعد أشبار منك ولكنها فى الحق كالأفق تخاله منطبقا على الأرض وهو فى ذروة السماء يحلق .. كم منيت النفس بأن تمس فى هذه الرحلة راحتها ، ولكن يبدو أنك سترحل عن هذه الدنيا قبل أن تعرف مسها ، لمَ لا تكون شجاعا فتهوى إلى انطباعة قدمها فوق الرمال فتلثمها ؟ .. أو تأخذ منها حفنة فتجعلها حجابًا يقى من آلام الحب فى ليالى الفكر ؟ ، وا أسفاه !! كل الدلائل تشير إلى أنه لا اتصال بالمعبود إلا بالتراتيل أو الجنون ، فرتل أو جن .. (ف ١٧)

استنفدت الشعر فى مناجاة طيفك ، الشعر لغتك المقدسة فلا أمتهنه ، غاضت دموعى ينابيعه فى سواد الليالى . ما أسعدنى فى مرمى ناظريك وما أتعسنى ! إنى أحيا تحت نظرتك كما تحيا اليابسة بمقلة الشمس . (ف ١٧)

النحلة فطرتُها الطبيعةُ ملكة . البستان مغناها . رحيق الزهر شرابها . الشهد نفثتها . وجزاء الآدمى الطائف بعرشها لسعة . (ف ١٧)

أفروديت ؟ ما أفروديت يا معبودتى ؟ يحزننى وحقِ كمالكِ أن تتخيلى نفسك فى صورة غير ذاتك . (ف ١٧)

إنها الآن قريبة . صوتها فى أذنك وعبيرها فى أنفك ، فهل تستطيع أن توقف عجلة الزمن ؟ (ف ١٧)

يا ويح قلبك من مَرام ما لا يُرام ! (ف ١٧)

أعْجب [بالمعبود] فى هدوئه وحدَّته وتواضعه وتكبره وإقباله وإدباره ورضاه وغضبه . كل أولئك صفاته فاروِ بالعشقَ قلبك الظامئ . (ف ١٧)

قلق [كمال] بادئ الأمر وهو يراها [عايدة] تقوم بهذه الوظيفة [تناول الطعام] التى يشترك فيها الإنسان والحيوان ، ثم داخله شئ من الارتياح لما قربت هذه الوظيفة بينه وبينها ولو درجة واحدة ! على أن نفسه لم تعفه من علامات الاستفهام عند هذا الحد ، فوجدها تدفعه إلى التساؤل عما إذا كانت تؤدى مساءُ الوظائف الطبيعية الأخرى . لم يسعه أن يقول لا ، ولم يهن عليه أن يقول نعم ، فأضرب عن الإجابة وهو يعانى إحساسًا لم يعرفه من قبل تضمّن - فيما تضمن - احتجاجًا صامتًا على نواميس الطبيعة . (ف ١٧)

الساعة يحظى بمعرفة ألم جديد ، ألم الرضى بحكم قاس قضى عليه بعدم الأهلية ، كما عرف من قبل - عن طريق الحب أيضا - ألم الفراق وألم الإغضاء وألم الوداع وألم الشك وألم اليأس ، وكما عرف أيضا ألماً يحتمل وألماً يستلذ وألماً لا يسكن مهما قدم له من قرابين التأوهات والدموع ، كأنما أحب ليتفقه فى معجم الألم . (ف ١٨)

(تمنى) لو كان للحب مركز معروف فى الكائن البشرى لعله يبتره كما يبتر العضو الثائر بالجراحة . (ف ٢٠)

بسط راحتيه إلى رب السماوات وهو يدعو من الأعماق : « اللهم قل لهذا الحب كن رماداً كما قلت لنار إبراهيم كونى برداً وسلامًا . » (ق ٢٠)

انسرب الألم إلى مستقر له فى الأعماق يؤدى فيه وظيفته من غير أن يعطل سائر الوظائف الحيوية كأنه عضو أصيل فى الجسم أو قوة جوهرية فى الروح ، أو كأنه كان مرضًا حاداً هائجًا ثم أزمن فزايلته الأعراض العنيفة واستقر . (ف ٢٣)

تراءت قسمات المعبودة رموزاً موسيقية للحن سماوى مرموقة على صفحة الوجه الملائكى . (ف ٢٣)

فغمه شذا ياسمين ساحراً آسراً ولكن ما هويته ؟ ما أشبهه بالحب فى سحره وأسره وغموضه ! لعل سر هذا يفضى إلى ذاك ، ولكنه لن يحل هذا اللغز حتى يأتى على تراتيل الحيرة . (ف ٢٣)

تراءى له حبه معلقًا فوق رأسه كالقدر ، يشده إليه بأسلاك من الألم المبرح ، أشبه ما يكون فى جبريته وقوته بالظاهرة الكونية . (ف ٢٤)

كانت كل قطرة من دمه تطرق جدران عروقه مؤذنة بأن كل شئ قد انتهى ، أن التاريخ نفسه قد انتهى ، أن الحياة جميعا قد انتهت ، أن الأحلام التى فوق الحياة قد انتهت ، وأنه يواجه الصخر المدبب الأطراف ولا شئ غيره . (ف ٣١)

(كمال لحظة زفاف محبوبته عايدة)

أريد عالماً لا تَخْدَع فيه القلوب ولا تُخْدَع . (ف ٣١)

اللص والكلاب

ليس أقسى على القلب من أن يروم قلبًا أصم . عندما تخاطب البلابل حجراً أو تداعب النسمة أسنانًا مدببة . (ف ٥)

الشحاذ

لا من قوة تستطيع أن تستديم اللحظة الإلهية [لحظة الحب] . اللحظة التى وهبت الكون يومًا سراً جديداً . وها أنت تقف على أعتابها مستجديًا . وتبسط يدك فى ضراعة للظلمة والأفق . والغيابات التى يهبط إليها القمر . لعل قبسًا يشتعل فى صدرك كما ينبثق الفجر . وتتوارى مخاوف الإفلاس والعدم . (ف ٨)

المرايا

... وأيا كان خبرها ، ورأى الآخرين فيها ، ألم يكن من حقها أن تعرف أنها عُبدت فى محراب كإله ، وأنها فجرت فى قلب حياة ما زالت تنبض بين الحين والحين بذكراها ؟ » (صفاء الكاتب)

الكرنك

عندما تحب حقًا فإنك تستغنى بالحب عن الحكمة والبصيرة والكرامة . (قرنفلة)

قلب الليل

(الحب) نداء يصيب مفتاحًا كهربائيًا . (ف ٥)

الحب فوق هضبة الهرم

الحب (...) كالموت نسمع عنه كل حين خبراً ولكنك لا تعرفه إلا إذا حضر . (نور القمر)

الشيطان يعظ

حبنا ثابت راسخ ، إنه مثل الضوء لا يعنى اختفاؤه حينا إلا أنه يدور دورته ليريق ضحكته الإلهية فى الصباح التالى . (أمشير)

التنظيم السرى

الجميلات كثيرات ولكن إحداهن تُخصُّ بميزة سرية يتسلل منها إلى قلب ما نداء مبهم لا يقاوم . قوته الحقيقية فى الأمر الصادر منه . وقوته الحقيقية أيضا فى الاستجابة الحارّة التى لا تفسير لها . (فى أثر السيدة الجميلة)

١٤ فى الجنس

خان الخليلى

أنا خطاط ، والنساء كالخط أنواع لا يغنى نوع عن نوع ، فهذه نسخ ، وتلك رقعة ، وثالثة ثُلُث ، ورابعة فارسى (..) (ف٥)

(المعلم نونو يشرح لماذا لا يكتفى بأقل من أربع زوجات)

زقاق المدق

(...) مسكينة وفقيرة ولكن وجهها البرنزى ونظرة عينيها وقدها الممشوق ، كل أولئك مزايا تستهين بفوارق الطبقات ! (....) إنه يهوى العينين الفاتنتين والوجه المليح ، والجسم الذى يقطر إغراء ، وهذه العجيزة الأنيقة التى تزرى بورع الشيوخ (...) لقد عرفها منذ كانت صبية صغيرة (....) رأى ثدييها وهما نبقتان ثم وهما دومتان ، حتى استوتا رمانتين . وعاين عجيزتها وهى أساس أملس لم ينهض عليه بناء ، ثم وهى تكور رقيق يتمطى به النضج ، وأخيرا وهى كرة تنضح أناقة وأنوثة .(ف٨) هى عاهرة بالسليقة .(ف٢٣)
(فرج إبراهيم فى وصف حميدة)

وَدِّعى الآن عهد التعب ، فلن تطالعك الحياة بكدر بعد اليوم حتى ثدياك سيحملها عنك رافع من الحرير ! (ف ٢٤) .

السراب

لا توجد ثمة حركة بين الرجال إلا ووراءها امرأة ! المرأة تلعب في حياتنا الدور الذى تلعبه قوة الجاذبية بين الأجرام والنجوم . فما من رجل « حىّ » إلا وفى خياله امرأة ، حاضرة أو غائبة ، ممكنة أو مستحيلة ، محبة أو كارهة ، مخلصة أو خائنة . (ف ٥٦) .

بداية ونهاية

انكحوا ما طاب لكم من النساء ، هذا أمرك يارب ولكن هذا البلد لم يعد يحترم الإسلام . (ف ١٥)

أعظم واجب فى هذه الدنيا أن تلاعب فتاة جميلة تحبها (ف ١٦)

ما أجمل أن أملك هذه الفيللا وأنام فوق هذه الفتاة ! ليست شهوة فحسب ولكنها قوة وعزة . فتاة مجد تتجرد من ثيابها وترقد بين يدىّ فى تسليم مسبلة الجفون وكأن كل عضو من جسدها الساخن يهتف بى قائلا: « سيدى هذه هى الحياة . إذا ركبتها ركبت طبقة بأسرها ! » (ف ٥٩)

لقد رأيت سائق على الدراجة عاجيّة جذابة ولكنها ليست بمعجزة لا توجد معجزات فى هذه الدنيا . ألست تنامين كأى فتاة ، وتغيبين عن الوجود كأى امرأة وتحبلين كما تحبل الخادمة التى طردناها لفقرنا وتعوين عند المخاض كأى كلبة ؟ (ف ٦٧)

(خواطر حسنين نحو فتاة أرستقراطية بعيدة المنال)

بين القصرين

يالها من عجيزة سلطانية جمعت بين العجرفة واللطف يكاد البائس مثلى يحس بطراوتها وشدتها معا بالنظر المجرد . وهذا المفرق العجيب الذى يشطرها تكاد تنطق الملاءة عنده . وما خفى كان أعظم . إنى أدرك الآن لماذا يصلى بعض الناس ركعتين قبل أن يبنى بعروسه . أليس هذه قبة ؟ بلى ، وتحت القبة شيخ وإني لمجذوب من مجاذيب هذا الشيخ . يا هوه ! يا عدوى ! (ف ١٢)

- يالك من رجل قارح ، لو طالتك يدى لقسمت ظهرك ، فنهض السيد وأقبل عليها قائلا :

- لا أحرمتك رغبة قط ..

وجلس جانبها فهمت بضربه ولكنها ترددت ثم أمسكت فسألها بقلق .....

- لماذا لم تتكرمى بضربى ؟

فهزت رأسها وقالت ساخرة :

- أخاف أن أنقض وضوئى .

فتساءل فى لهفة :

- أأطمع فى أن نصلى معا ؟

واستغفر الله فى سره عقب النطق بدعابته مباشرة لأن هذره وإن كان لا يقف به فى سكره المجون عند حد إلا أن قلبه لم يكن ليطمئن ويواصل ابتهاجه حتى يستغفر فى باطنه صادقاً ما يعبث به لسانه مازحاً . أما المرأة فتساءلت فى دلال ساخر :

- أتعنى ، يا صاحب الفضيلة ، الصلاة التى هى خير من النوم ؟

- بل الصلاة التى هى والنوم سواء ... (ف ١٥)

« ألم يئن الأوان يا بنت المركوب ؟! ذبت يا مسلمين ، ذبت كالصابونة ولم يبق منها إلا رغوة ، هى تعلم بهذا ولا تريد أن تفتح النافذة ، تدللى .. تدللى يابنت المركوب ، ألم نتفق على هذا الميعاد ؟ ولكن لك حق .. فردة ثدى من صدرك تكفى لخراب مالطة .. وفردة إليه تطير مخ هدنبرج ، عندك كنز ، ربنا يلطف بى ، ربنا يلطف بى ويكل مسكين مثلى يؤرقه الثدى الناهد والعجيزة المدملجة والعين المكحولة ، العين المكحولة فى الآخر ، إذ رب ضريرة ريا الروادف كاعب الثديين خير ألف مرة من عجفاء مسحاء مكحولة العينين ، يا بنت العالمة وجارة التربيعة .. تلك لقنتك أصول الدلال وهذه تمدك بأسرار الجمال ، لهذا ينهد ثدياك من كثرة من عبث بهما من العشاق ، اتفقنا على الميعاد لست أحلم ، افتحى النافذة ، افتحى يا بنت المركوب افتحى يا أجمل من اقشعرت لها سرتى ، ومصّ الشفة ورضع الحلمة ، لأنتظرن حتى مطلع الفجر ، ستجدينني طوع بنانك ، إن أردت أن أكون مؤخر عربة الكارو التى تتأرجحين عليه أكنه ، أن أردت أن أكون الحمار الذى يجر العربة أكنة ، يا واقعتك يا ياسين ، يا خراب بيتك يا بن عبد الجواد ، يا شماتة الاستراليين فيك يا أنا يا طريد الأزبكية وحبيس الجمالية ، الحرب يا هوه ، شنها غليوم فى أوروبا ورحت ضحيتها أنا فى النحاسين ، افتحى النافذة ياروح أمك ، افتحى يا روحى أنا .. » (ف ٣٩)

انتبه [ياسين] إلى زنوبة فرآها أمام المرآة وهى تسوى أهداب شعرها بأناملها وقد لاح إبطها من فرجة الفستان أملس ناصعاً يتصل منحدره بأصل نهد كقرصة العجين فسرت فى بدنه سكرة الهياج وانقض عليها كأنه فيل ينقض على غزال .. (ف٣٩)

« فيم تطمح أية امرأة وراء البيت الزوجى والارتواء الجنسى ؟ لا شى !

إنهن حيوانات أليفة وكالحيوانات الأليفة ينبغى أن يعاملن ، أجل لا يجوز للحيوانات الأليفة أن تتطفل على حياتنا الخاصة وإنما عليها أن تنتظر فى البيت حتى نفرغ لمداعبتها ،أن أكون زوجاً خالصاً للحياة الزوجية هو الموت ، منظر واحد وصوت واحد وطعم واحد ، خلاصتها فى النهاية عدد محدود من الحركات والأصوات لا تزال تتكرر وتتكرر .. حتى تنقلب الحركة والجمود سيين ، والصوت والصمت توأمين ، كلا

كلا ، ما لهذا تزوجت .. إن قيل إنها بيضاء ، ألست ذا مآرب في السمراء ، بل والسوداء .. وإن قيل أنها مدملجة فما عزائي عن النحيلة والجسيمة . أو إنها مهذبة سليلة نبل وكرم ، فهل عطلت من المزايا ربيبة العربات الكارو ؟! .. إلى الأمام .. إلى الأمام .. » (ف ٥٠)

« إنه يؤمن بشيئين : بالله في السماء بالغلمان في الأرض ، إنه من طراز حساس ترف عينه وهو في الحسين إذا تأوه غلام في القلعة » (ف ٦١) (ياسين عن أحد الوعّاظ)

قصر الشوق

إن جمال عينيك وعجيزتك يغفر ما تقدم وما تأخر من ذنبك ! (ف ٥)

هذه « الوليّة » تعزك إعزاز الشيطان للضالّ المزمن (..) (ف ٧)

ما لبث [ياسين] أن رأى ست بهيجة وهي تدخل بجنبها ، إذ أن مصراع الباب المفتوح لم يكن ليستع لها إذا دخلت بعرضها ، ولمح (..) الخطوط التي تحد تفاصيل جسمها الجسيم . فلم يتمالك من العجب عندما مرت أمام عينيه عجيزتها التي كادت قمتها تبلغ منتصف ظهرها ويفيض أسفلها على فخذيها ، فكأنها كرة منطاد . (ف١١)

رباه ، ما هذا الذي أرى ؟ أهذه امرأة حقا ؟ كم قنطار ياترى تزن ؟ اللهم إني لم أر من قبل طولاً كهذا الطول ولا عرضاً كهذا العرض ، كيف تملك هذه الضيعة ؟ إني أنذر إذا وقعت بين يدي امرأة في قدرها أن أنيمها في وسط الحجرة عارية ، وأن أدور حولها سبعا وأنا أفقّز . (ف ٢٥)

تراهم يتحدثون عن المرأة كأنما يتحدثون عن ملاك ، والمرأة ليست إلا امرأة ، طعام لذيذ سرعان ما تشبع منه ، دعهم يشاركونها الفراش ليطلعوا على منظرها عند الاستيقاظ وليشموا رائحة عرقها وسائر الروائح التي قد تصدر عنها وليحدثوني بعد ذلك عن الملاك .فتنة المرأة ما هي إلا طلاء أو أداة إغراء حتى تقع في الشرك وعند ذاك يبدو لك المخلوق الآدمي على حقيقته : لذلك فالأبناء ومؤخر الصداق والنفقة

الشرعية هى سر قوة الزواج لا الجمال أو الفتنة . (ف ٣٦) (ياسين)

لم يكن قبل تسعة عشر عاماً وتسعة أشهر إلانطفة ، نطفة قذفت بها رغبة بريئة فى اللذة أو حاجة ملحة إلى العزاء أو صولة هياج بعشتها سكرة غاب منها الرشاد أو حتى مجرد إحساس بالواجب نحو الزوجة القابعة فى البيت . (ف ٤٠)

السكرية

يقولون تزوج حتى تنجب فتخلد ، وشد ما طمح إلى الخلود فى شتى أشكاله وألوانه ، فهل يركن يائساً فى النهاية إلى هذه الوسيلة الفطرية المبتذلة ؟ (ف١٩)

الشحاذ

كلما رأيت أنثى خيّل إليّ أننى أرى الحياة علي قدمين . (ف ٨)

نشوة (الجنس) مجنونة كالبرق فكيف تملأ فراغ الحياة ! (ف ٨)

اللحظة الإلهية لا تجود بنفسها أكثر من ثانية واحدة . (ف ١٣)

ثرثرة فوق النيل

بنات الليل جادّات (..) لا يعرفن العبث ، يعملن حتى الهزيع الأخير من الليل ، لا للهو أو لذة ، ولكن لهدف تقدمى وهو أن يعشن حياة أفضل . (ف ١٢)

المرايا

المرأة الفاضلة يكفيها زوج وعشيق واحد ! (فايزة نصار) وقصّ علينا كيف انقضّ على خادمة فى مكان خالٍ من البيت وجثة عمته مسجّاة تنتظر من يكفنّها والنائحات ينحن فى ساحة البيت (..) » (بدر الزيادى)

(..) كانت تلك الهفوة [فقدان الفتاة للبكارة قبل الزواج] مما لا يغتفر على أيامنا . كنا نحارب طبقات كثيفة من الماضى العتيق كلما تلاشت طبقة برزت تحتها طبقة راسخة تتطلب المعاناة والعناء لقهرها . كان علينا أن نقطع خمسة قرون أو ستة في ربع قرن (..) » (ثريا رأفت)

المرأة المصرية هى المخلوق الوحيد الذى يستحق التقدير [بين المصريين] ، فهى لبؤة ، ويمكنها إذا مُنحت مزيدا من الحرية إسعاد هذا الشعب الذى يستحق الإبادة . » (عبد الرحمن شعبان)

حكايات حارتنا

(..) فى رأسى حماس وفى قلبى نذير نشوة البراعم قبل أن تتفتح (الحكاية رقم ٤)

عصر الحب

يتكوّر نهداها شامخين وسالمين من أثر الرضاعة ويكوّنان فى مقدمة الجسد مركز

ملاحة مستتر كأنه - بلغة اليوم - محطة إرسال . (ف ١)

أتحدث إليكم

أما عن حلّ المشكلة الجنسية فى مجتمعنا ، فأنا لا أستطيع أن أقوله ، ولا أنت أن تكتبه ! . (نجيب محفوظ فى مقابلة مع أحمد أبو كف)

15 فى الخمـــر

قصر الشوق

أفرغ بقية كأسه وترقب . ثم تساءل هل مرت به حال كهذه من قبل ؟ نافث الحرارة الوجدانية ينطلق فى الدورة الدموية ، يجرف فى طريقه الفجوة التى تتجمع بها نفايات الأكدار ، قمقم النفس يتفكك لحام أحزانه فتطير منه عصافير المسرات مترنمة ، وهذا صدى نغمة مطربة ، وهذه ذكرى أمل واعد ، وذاك طيف بهجة عابرة ، الخمر لعاب كله السعادة . (ف ٣٥) (كمال بعد أول كأس من الخمر)

لعاب إله السعادة يتسرب إلى مملكة الروح ، وهذا الانقلاب الغريب الذي حدث فى لحظات لا تقدر البشرية على إدراكه فى أجيال وأجيال ، وهو فى جملته يجود بمعنى باهر جديد لكلمة « السحر » وأعجب شئ أنه لم يكن جديدا كل الجدة فلعله طاف بالروح مرة ولكن متى وكيف وأين ؟ إنه موسيقى باطنية تعزفها الروح وما الموسيقى المعهودة بالقياس إليها إلا كقشور التفاح بالقياس إلى لبابه ، ترى ما سر السائل الذهبى الذى صنع هذه المعجزة فى لحظات معدودات ؟ لعله طهر مجرى الحياة إذا تحررت من ربقة الجسد وأغلال المجتمع وذكريات التاريخ ومخاوف المستقبل ، موسيقى رائقة نقية تقطر طرباً وتصدر عن طرب ، مثلها طاف بروحى من قبل ولكن متى وكيف وأين ؟، آه ... يا للذكرى .. إنها الحبَ ! ، يوم نادت « يا كمال » أسكرتك وأنت لا تدري ما السكر فقر بأنك سكير قديم ، وأنك عربدت دهرا فى طريق الهوى المخمور المعبد بالأزهار والرّياحين ، كان ذلك قبل أن يتحول قطر الندي الشفاف إلى وحل ، فالخمر روح الحب إذا انجابت عنه بطانة الآلام ، فحب تسكر أو أسكر تحب .. (ف٣٥) (كمال تحت تأثير الخمر)

طبع المقاتل على خد غريمه قبلة صافية فحل السلام على الأرض ، وغرد البلبل فوق غصن ريان ، فطرب العاشقون فى أربعة أركان المعمورة ، وطار طائر الأشواق من القاهرة إلي بروكسل ماراً بباريس فاستقبل بالحنان والأناشيد ، وغمس الحكيم شباة قلمه

فى مداد قلبه فسجل وحيا منزلاً ، ثم آوى المجرب إلى شيخوخته فألمت به ذكرى دامعة بعثت فى صدره ربيعا مكتما ، أما أسلاك الشعر الأسود المسدل على الجبين فكعبة يتجه إليها الثملون فى حانات الوجد . (ف ٣٥)

النشوة الآسرة هى سر الحياة وغايتها العليا ، وما الخمر إلا بشيرها والمثال المحسوس المتاح لها ، وكما كانت الحدأة مقدمة لاختراع الطائرات ، والسمكة تمهيداً لاختراع الغواصة ، فالخمر ينبغى أن تكون رائد السعادة البشرية ، والمسألة تتلخص فى هذه الكلمة : كيف نجعل من الحياة نشوة دائمة كنشوة الخمر دون الالتجاء إلى الخمر ؟ . لن نجد الجواب فى النضال والتعمير والقتال والسعى ؛ فكل أولئك وسائل وليست بغايات ، السعادة لن تحقق حتى نفرغ من استغلال الوسائل كلها لنتمكن من أن نحيا حياة عقلية روحية خالصة لا يكدرها مكدر ، هذه هي السعادة التى أعطتنا الخمر مثالها ، كل عمل وسيلة إليها أما هى فليست وسيلة لشئ ..(ف٣٥)

لو فهمنا سر الخمر لفهمنا سر السعادة . (ف٣٦)

١٦ فى الألـــم

قصر الشوق

تَذَوَّقْ هذا النوع الجـديد من الألم المقطر ، روح الألم أو ألم الألم ! ليكن عـزاؤك أنك انفردت بألم لم يشعر به انسان قبلك ، وأنه سيهون عليك الجحيم إذا قدر عليك يوما أن تحملك الزبانية وترقص بك فوق ألسنة لهيبة . (ف٣١)

لم أعد من سكان هذا الكوكب ، غريب أنا وينبغى أن أحيا حياة الغرباء . (ف٣١)

هكذا الألم والحياة توأمان ، لست الآن إلا ألماً خالصاً فى ثياب رجل ! (ف٣٤)

أيها النسيان ، هل أنت خرافة أيضا ؟ (ف٣٤)

عـلام تعوّل فـى طلب النسـيان ؟ على (..) التـهوين من الآلام الفـردية بالتـأمـلات الكونية التى يبدو عالم الإنسان فى مدارتها هباءة تافهة . (ف ٤٠)

السمان والخريف

من أضناه الألم خليق بأن يرحب بالمسكّن وإن يكن سمّا . (ف ١٣)

الحرافيش

لا يوجد ألم بلا معنى . (المطارد ٥٦)

عصر الحب

ما من ألم إلا ويشير إلى جرح ما . (ف ١)

كُتب على جوانحه أن يتعذب بالحنين العقيم . أن يتذوق الألم كتمزز المخمور . أن ينادى الغَيب ليصدّ عنه سخريات الغيب ! (ف٢١)

السعادة هى التخفيف من الألم المحتوم . (ف٢١)

ليالى ألف ليلة

إن أنات البشر من قديم تتدفق فى نهر الحسرات بين الكواكب . (نور الدين ودنيا زاد ١٧)

رحلة ابن فطومة

الشكوى هى لغة الإنسان المشتركة . (دار الحيرة)

١٧ فى الماضى

السراب

أين منى بلد بعيد لم يطرق أبوابه طارق ؟ آه لم يمكننى أن أولد من جديد فى عالم جديد لا تطالعنى فيه ذكرى من ذكريات هذا العالم ! (ف٦٤)

بداية ونهاية

ليتنا نستطيع أن نمحو الماضى من صفحة الوجود ! (ف ٦٨)

الماضى سيطارد المستقبل إلى الأبد . (ف ٧٥)

آه لو كان فى وسع الإنسان أن يخلق حياته من جديد ، فيولد فى أسرة جديدة ، وينشئ ماضياً جديداً ! (ف٨٤)

غلبه ذهول شعر معه بأنه أثر من آثار ماضٍ منطو انقطعت صلته بالحاضر فضلا عن المستقبل . كان ، هذا هو ، ولكنه لا يكون ولن يكون . (ف٨٩)

إن الماضى لا ينمحى ولكنه يسابق مستقبلى .

طالما أحببت أن أمحو الماضى ، ولكن الماضى التهم الحاضر ، ولم يكن الماضى المخيف إلا نفسى (..) فى طبيعتنا خطأ جوهرى لا أدريه لقد قضى علىّ (ف٩٢)
(خواطر حسنين قبل الانتحار)

بين القصرين

ربما كان فى وسع الإرادة القوية أن تتيح لنا أكثر من مستقبل واحد ولكننا لن يكون لنا - مهما أوتينا من إرادة - إلا ماضى واحد لا مفر منه ولا مهرب . (ف١٣)

قصر الشوق

هبنى وطناً بلا تاريخ وحياة بلا ماضى . (ف٣٧)

السكرية

من الخطأ أن يكون للإنسان والدان ! (..) فالأبوة على وجه العموم فرملة ، وما حاجتنا فى مصر إلى الفرامل ونحن نسير بأرجل مكبلة بالأغلال ؟ (ف٣٣)

الحرافيش

من يحمل الماضى تتعثر خطاه . (الحب والقضبان ٤٤)

أفراح القبة

اللعنة على الماضى والحاضر ! (طارق رمضان)

التاريخ يحزن لتحوله إلى قمامة . (كرم يونس)

ليالى ألف ليلة

التقاليد هى الماضى ، ومن الماضى ما يجب أن يصبح فى خبر كان ! (السندباد ٤)

تحت المظلة

الحاضر يمضى والماضى يعود . (التركة)

الجريمة

داؤنا أننا ننظر إلى الوراء ، دائماً نتوهم أن وراءنا فردوساً مفقوداً ! (أهلا !)

١٨ فى الوصف والتصوير

القاهرة الجديدة

نظر إلى الهرم طويلاً ، ثم تمتم ساخراً : « أن إربعين قرناً تنظر إلى مأساتى من فوق هذا الهرم ! ثم غلبته موجة غضب مفاجئة (..) فود لو يستطيع أن يقذف القاهرة بأحجار الأهرام الهائلة . (ف ١٧)

زقاق المدق

تنطق شواهد كثيرة بأن زقاق المدق كان من تحف العهود الغابرة ، وأنه تألق يوما فى تاريخ القاهرة المعزية كالكوكب الدرى . أى قاهرة أعنى ؟ ... الفاطمية ؟ .. المماليك ؟ السلاطين ؟ علم ذلك عند الله وعند علماء الآثار ، ولكنه على أية حال أثر ، وأثر نفيس . كيف لا وطريقه المبلط بصفائح الحجارة ينحدر مباشرة إلى الصنادقية ، تلك العطفة التاريخية ، وقهوته المعروفة بقهوة كرشة تزدان جدرانها بتهاويل الأرابيسك ، هذا إلى قدم باد وتهدم وتخلخل ، وروائح قوية من طب الزمان القديم الذى صار مع كرور الزمن عطارة اليوم والغد ....!

ومع أن هذا الزقاق يكاد يعيش فى شبه عزلة عما يحدق به من مسارب الدنيا ، إلا أنه على رغم ذلك يضج بحياته الخاصة ، حياة تتصل فى أعماقها بجذور الحياة الشاملة ، وتحتفظ - إلى ذلك - بقدر من أسرار العالم المنطوى . (الفقرة الاستهلالية من الرواية)

هو كتلة بشرية جسيمة ، ينحسر جلبابه عن ساقيه كقربتين ، وتتدلى خلفه عجيزته كالقبة ، مركزها على الكرسي ومحيطها في الهواء ، ذو بطن كالبرميل ، وصدر يكاد يتكور ثدياه ، ولا ترى له رقبة ، فبين الكتفين وجه مستدير منتفخ محتقن بالدم ، أخفى انتفاخه معالم قسماته . فلا تكاد ترى في صفحته سمات أو خطوط ، ولا أنف له ولا عينان ، وقمة ذلك كله رأس أصلع صغير لا يمتاز عن لون بشرته البيضاء المحمرة (ف١) (فى وصف عم كامل بائع البسبوسة)

على الأرض (..) كان يوجد شئ مكومّ لا يفترق عن أرض المكان قذارة ولونا ورائحة لولا أعضاء ولحم ، ودم تهبه الحق – على رغم كل شئ – فى لقب إنسان . (ف ٧)

(فى وصف زيطة صانع العاهات)

-آه من ذكريات طفولتى السعيدة ؛ لازلت أذكر مستراحي من الطوار . كنت أزحف على أربع حتى أبلغ حافة الطوار المطلة على الطريق ؛ وكانت توجد تحت المكان المختار ثغرة فى الأرض يركد فيها ماء من مطر أو رش أو دابة ، يتكتل الطين فى قعرها ، وعلى سطحها يغني الذباب ، وعلى شطآنها تتجمع نفاضة الطريق . منظر ساحر يأخذ بالألباب . ماؤها مطين ، وساحلها زبالة متعددة ألوانها : قشر طماطم ونفاية مقدونس وتراب وطين ، والذباب يحوم حولها ويقع عليها ، فكنت أرفع جفني المثقلين بالذباب ، وأسرح طرفى فى ذاك المصيف الطروب ، والدنيا لا تسعنى فرحا (ف ١٦) (زيطة يصف نشأته) .

من الكفر أن يعيش جسم حيّ نضير فى مقبرة مليئة بالعظام النخزة . (ف ٢٣)

السراب

غضبت غضب من يروم دك الجبال ، وتنهدت تنهد من يعجز عن رفع حصاة (ف ٥١)

بداية ونهاية

والله يا أخى لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أتركها ما تركتها أو أهلك دونها . . ف ١٨)

(حسنين عن ابنة الجيران التى يغازلها ٩)

هذه المدخنة تنفث دخاناً أسود كثيفاً . لو تحترق أفكارى وتذوب فى أنفاسى لزفرت أقذر منه ! (ف٩١)

ألقت بنفسها ، أو تركت نفسها تهوى ، وقد انطلقت من حنجرتها صرخة طويلة كالعواء تمثل لعينى المبتلى بسماعها وجه الموت . (ف٩١) (من وصف انتحار نفيسة غرقا)

بين القصرين

وجدت نفسها فى غربة موحشة تتوالد فيها الأشجان كما تتوالد الحشرات فى البركة الآسنة (ف ٣٨)

ها هو نور الصباح ذو البهاء والحياء تستأذن طلائعه فى رقة بالغة . (ف٥٤)

قصر الشوق

هل يغنى المشتاق المتطلع إلى ظلمة السماء معرفته أن البدر يسطع فوق مكان آخر من الأرض ؟ (ف٢)

الفظها كما تلفظ ذبابة اندست فى فيك وأنت تتثاءب . (ف ٨) العالم ملتقى خرابات يستعذب عنه الرحيل . (ف ١٩)

خُيِّل إليه أن أبا الهول قد رفع قبضته الجرانيتية الهائلة التى لم تتحرك منذ آلاف السنين ، ثم هوى بها عليه ، فهرسه وواراه تحتها إلى الأبد . (ف ٢٠)

سال سرُّه على لسانه كأنه دم تعذر منعه . (ف٢٣)

(أحسَّ) بحزن عميق كأنما يرى بعينه مصرعه فيما وراء الغيب . (ف٣١)

أنت تنهار حجراً بعد حجر ، وسوف تجد نفسك فى النهاية خرابا . (ف٣٢)

إذا سمعتَ غداً أن الأرض مسطحَة أو أن أصل الإنسان هو آدم فلا تدهش ولا تنزعج ! (ف ٣٦)

اللص والكلاب

مرة أخرى يتنفس نسمة الحرية ، ولكن فى الجو غبار خانق وحر لا يطاق . وفى انتظاره وجد بدلته الزرقاء وحذاءه المطاط ، وسواهما لم يجد فى انتظاره أحد . ها هى

الدنيا تعود ، وها هو باب السجن الأصم يبتعد منطوياً على الأسرار اليائسة . هذه الطرقات المثقلة بالشمس ، وهذه السيارات المجنونة ، والعابرون والجالسون ، والبيوت والدكاكين ، ولا شفة تفتر عن ابتسامة . وهو واحد ، خسر الكثير ، حتى الأعوام الغالية خسر منها أربعة غدراً ، وسيقف عما قريب أمام الجميع متحديا . آن الغضب أن ينفجر وأن يحرق ، وللخونة أن ييأسوا حتى الموت ، وللخيانة أن تكفر عن سحنتها الشائهة .

(من استهلال الرواية)

جاءكم من يغوص فى الماء كالسمكة ويطير فى الهواء كالصقر ويتسلق الجدران كالفأر وينفذ من الأبواب كالرصاص . (ف١) عندما أقطع هذا الشارع ذا البواكى العابسة ، طريق الملاهى البائدة ، الصاعد إلى غير رفعة ، أشهد إنى أكرهك . (..) القدم تعبر من آن لآن نقرة مستقرة تختلط كأنما تنبعث من نفايات الخضُر ، أشهد أنى أكرهك . (ف١)

حدجه بعين رأت الدنيا ثمانين عاما ورأت الآخرة ! (ف٢)

إن من يقتلنى إنما يقتل الملايين ، أنا الحلم والأمل وفدية الجبناء ، وأنا المثل والعزاء والدمع الذى يفضح صاحبه . (ف١٥)

السمان والخريف

غادر اللجنة كعود جاف مقصّف اخترمته دودة عاتية (ف ٧)

الشحاذ

ها هى الشمس تتهاوى للمغيب . قرص أحمر كبير امتص المجهول قوته وحيويته الباطشة فرنت إليه الأعين كما ترنو إلى الماء . وتدفقت حوله كثبان السحب وضاءة الحوافى موردة الأديم فى مهرجان الألوان . (ف٤)

شعر بأنه جنة منسية فوق سطح الأرض . (ف ١٥)

ميرامار

يختنق البحر . يتلاطم موجه فى تثاقل وهو كظيم . بوجه أسود ضارب للزرقة منذر بالغضب . يضطرب بباطن محشو بأسرار الموت ونفاياته . (حسنى علام) .

حضرة المحترم

إنه يشتعل (...) ويخيل إليه أن النار المتقدة فى صدره هى التى تضئ النجوم فى أفلاكها . (ف ٢)

صباح الورد

حـــزن يتأدى كأنه شعيرة تتلى فى محراب الوجـــود على لا شئ أو على كل شئ . (أم أحمد)

١٩ متفرقات

خان الخليلى

من الحكمة ألا نركّب الهم أنفسنا . دع الهموم ، واضحك ، واعبد الله . الدنيا دنيا الله ، والفعل فعله ، والأمر أمره ، والنهاية له . فعلام التفكير والحزن ؟ ملعون أبو الدنيا ! (ف ٥) .

القاهرة الجديدة

" إذا " حرف خيبة إذا دخل على جملة ذهب بفائدتها وثبط همة الفاعل . (ف ٣٢) .

زقاق المدق

- أما المصائب فلنصمد لها بالحب ، وسنقهرها به . الحب أشفى علاج . وفى مطاوى المصاب تكمن السعادة كفصوص الماس فى بطون المناجم الصخرية ، فلنلقن أنفسنا حكمة الحب . (ف ٦)

لو أن (الحياة) أفصحت لنا عما فى ضميرها منذ اللحظة الأولى لأبينا أن نفارق الأرحام ! (ف ١٦)

كلنا - لو تعلم - نعيش بأعجوبة . إن استمرار حياة المرء ثانية واحدة من الزمان يحتاج لمعجزة ضخمة من القدرة الإلهية ، فعمر أى إنسان فانٍ سلسلة من المعجزات الإلهية ، وما بالك بأعمار الناس جميعاً ، وحيوات الكائنات جميعاً ! (ف ٢٢)

السراب

ما أنا إلا مخلوق خائف لولا قيد الجسد لفرّت روحه ذعراً . أخاف الناس ، وأخاف الحيوان والحشرات ، وأفرق من الظلام وما يرصدنى من أوهامه . على أن الخوف كان أعمق فى حياتى من هذه الأشياء التى يتمثل لى فيها ، لقد استطال ظله الكثيف حتى أظل الماضى والحاضر والمستقبل ، واليقظة والنوم ، وأسلوب الحياة وفلسفتها ، والصحة والمرض ، والحب والكراهية ، فلم يترك شيئاً خالصاً . (ف ٤)

صح عنـدى أنـى لن أظفر براحـة حقيقية ما دمت على صلة بأحد مـن النـاس .
(ف ١٨) .

بداية ونهاية

لو كنا نقتصد فى أحلامنا ، أو كنا نستلهم الواقع فى خلق هذه الأحلام ، لما ذقنا طعم الأسف أو الخيبة . (ف ٤٤)

ما جدوى الحنق ؟ لن نغير الدنيا ! (ف ٤٥) .

فـى الحيـاة متـع عـاليـة وهـواء نقى وينبـغى أن (آخذ) نصيـبى مـنه كـاملاً . (ف ٥٩) .

فى الدنيا سرور خليق بأن يكفِّر عن جميع أكدارها . (ف ٨٣) .

قصر الشوق

- أنا أتفـادى من النكد مـا وجدت سبيـلاً إلى السلامـة ، وأختك تتفـادى من السلامة ما وجدت سبيلاً إلى النكد !

- اسمعـوا الحكـم ! (. .) أنت تتفـادى اليقظة مـا وجدت سبيـلا إلـى النـوم ! (ف ٣) (نقار بين إبراهيم شوكت وزوجته خديجة) .

كـل المتعلمين يعرفون سقراط ، ولكن من منهم يعرف القضاة الذيـن حاكمـوه ؟ (ف ٤) .

الإقدام مرّ والنكوص مرعب . (ف ٨)

لن أبيع جميل الأعوام بإساءة ساعة . (ف ١٠)

ما أتعس حياة تستغرقها مطالب الرزق ! (ف ١٧) .

لا أدرى ماذا تكون حياة الإنسان لولا العمل . إن ساعة من الفراغ المطلق تنقضى أثقل من عام حافل بالعمل . (ف ١٨) .

إنى أعد العمل لعنة البشرية ، لا لأننى كسول ، كلا ، ولكن لأن العمل مضيعة للوقت وسجن للفرد وحائل منيع دون الحياة ، الحياة السعيدة هى الفراغ السعيد . (ف ١٨)

أقصى درجات الهلاك تماسّ أولى درجات النجاة ! (ف ١٨)

السماء أو لاشئ ! (ف ٣١) .

اللذة ملاذى ولكن ارتقاء الجبال الوعرة سيظل مطلبى . (ف ٣٥)

إذا كانت الحقيقة قاسية فالكذب دميم ، ليست الحقيقة قاسية ، ولكن الانفلات من الجهل مؤلم كالولادة . اِجر وراء الحقيقة حتى تنقطع منك الأنفاس ! ارضَ بالألم حتى تخلق نفسك من جديد ! (ف ٣٥)

العظمة (...) دوى يزلزل قلوب الخاملين ويطيّر النوم عن أعين الراقدين ، وهى عسية بأن تستثير الكراهية لا الحب ، والسخط لا الرضى ، والعداوة لا المودة ، إنها الكشف والهدم والبناء . (ف ٤٣)

السكرية

إنك تتجنب الشواغل حتى لا تشغلك عن طلب " الحقيقة " ولكن الحقيقة فى هذه الشواغل . لن تعرف الحياة فى المكتبة ، ولكن الحقيقة فى البيت والشارع . (ف ٣)

يا ابن جميل الحمزاوى ! عروسى من صلب وزير وحماتها من المبيضة أتحدى ليبنتز [Leibnitz] أن يبرر هذا ولو كما برر وجود الشر فى الخليقة ! (ف ١٤) .

الفلسفات قصور جميلة هادئة ولكنها لا تصلح للسكنى . (ف ١٥) .

أنا الحائر إلى الأبد . (ف ٤٥)

أولاد حارتنا

لولا أن آفة حارتنا النسيان ما انتكس بها مثال طيب . (ف ٤٣)

لابد للظلم من آخر ، ولليل من نهار ، ولنرينَّ فى حارتنا مصرع الطغيان ومشرق النور والعجائب . (ف ١١٤)

اللص والكلاب

الاختلال يطبق علينا مثل قبة السماء . (ف ٦)

لا مأوى لك الساعة ، ولا أى ساعة . (ف ٧)

الصبر مقدّس تُقدّس به الأشياء . (ف ١٧) .

متى تظفر بسكون القلب تحت جريان الحكم ؟ (ف ١٧)

هل تستطيع أن تقيم ظل شئ معوج ؟ (ف ١٧)

لا أمل فى الهرب من الظلام بالجرى فى الظلام . (ف ١٨)

السمان والخريف

(هل) تحقيق هدف من أهدافنا الكبرى يعنى في الوقت ذاته زوال سبب من أسباب حماسنا للوجود ؟ (ف ٦)

الغرور البشرى (...) يفوق قوة الذرة . (ف ١٦)

نحن فى حاجة إلى أن نعود للحياة مراراً حتى نتقنها . (ف ٢٧)

متى يندثر العالم ؟! (ف ٢٨) .

الطريق

أنت المفلس المطارد بماضى ملوث بالدعـارة والجريمة تتطلع بمعـجـزة إلى الكرامـة والحرية والسلام . (ف ١)

أحيانا نجرى وراء غاية معينة ثم نعثر في الطريق على شئ ما نلبث أن نؤمن بأنه الغاية الحقيقية ! (ف ٨)

الشحاذ

ها هو (...) الأفق ينطبق على الأرض . دائماً ينطبق على الأرض من أى موقف ترصده ، فياله من سجن لا نهائى ! (ف ١)

هذا الوجود من حولنا ليس إلا تكويننا فنياً . (ف ٣)

لماذا يخيم الصمت رغم الضجيج ؟ (ف ٣)

إنى أطرق بكل رجاء باب المدينة المسحورة . (ف ٧) .

سأدق جدار (الحياة) الأصم فى كل موضع حتى يرن صوت أجوف يشى بالكنز المدفون ! (ف ٩)

(أريد أن) أكون جملـة لم يسبق ذكـرها على لسان . (ف ٩)

العفن قـد دفـن كل شئ وحبـست الروح فى برطمان قـذر كأنها جنين مجهض . (ف ١٠)

الفشل ! اللعنة التى تدفن ولا تموت . ما أفظع ألا يستمع لغنائك أحد ، ويموت حبك لسر الوجود . ويمسى الوجود بلا سر . (ف ١١) .

ثبت لى أنه إذا قذف بنا إلي الجحيم فإننا حتمًا سنعتاد ونألف الزبانية . (ف ١٥)

مهما يكن من قذارة الفأر فإن منظره فى المصيدة يثير الرثاء . (ف ١٥)

كم أن العالم مدين للجنون ! (ف ١٥)

خَرُسَ الفجر ! (ف ١٧)

الجوانح تنطوى على لوعة مشتعلة صراخها يصك السماوات بلا أمل .(ف ١٧)

يقينًا أن روما لم يحرقها نيرون ولكن ضرمتها الأشواق اليائسة . (ف ١٧)

إن ما يكتنفه من طنين يمنعه من حسن الاستماع إلى الصمت . (ف ١٧)

آن الأوان لأن أفعل ما لم أفعله فى حياتى وهو ألا أفعل شيئًا ! . (ف ١٧)

ثرثرة فوق النيل

أبريل ، شهر الغبار والأكاذيب ! (ف ١)

عندما يسرى سحر الفصّ المذاب في القهوة السادة فسوف تتغير أشياء . ستحل الأشكال المجردة والتكعيبية والسريالية والوحشية مكان الجازورينا والكافور والأكاسيا وعرائس العوامات . أما الإنسان فيرتد إلى العصر الطحلبى . (ف ٣)

تاريخ الإنسانية مقبرة فاخرة تزدان بها أرفف المكتبات . (ف ٣)

علينا أن نتماسك حتى نغير وجه الأرض . (ف ٣)

ما النجوم في الحقيقة إلا أفراد عالم آثروا الوحدة فتباعدوا عن بعضهم آلاف السنين الضوئية . (ف ٤)

متى ألعب بالمجموعة الشمسية لعب الهواة بالكرة ؟ (ف ٤)

ثمة آلاف الشهب تتناثر من الكواكب لتحترق وتتبدد منهالة على جو الأرض دون أن تمر بالأرشيف أو تسجل فى دفتر الوارد . (ف ٦)

ليلة أمس اقتنعت تماما بالخلود ولكنى نسيت الأسباب وأنا ذاهب للأرشيف . (ف ٨)

كم من ملايين ملايين الأعين قد رنت إلى الليل المستكن فى ضوء القمر ! (ف ٨)

ما أتعس المسئول إذا عجز عن الجواب ! (ف ٨)

لماذا واحدو واحد يساويان اثنين ؟ (ف ٩)

انزلاق قدم وزير أضحك بكثير من انزلاق قدم بهلوان . (ف ١٣)

ليس كالحزن شئ يقتحم عليك المأوى بلا دعوة . (ف ١٤)

ما اسمك بالكامل ؟ أنيس زكى ابن آدم وحواء .

سنك : ولدت بعد مولد الأرض بألف مليون سنة .

وظيفتك : برو مثنيوس مسطولاً . (ف ١٧)

ميرامار

خبِّرْنى لماذا يعذب الناس بعضهم البعض ، ولماذا يتقدم بنا العمر ؟ (عامر وجدى ١) ما قيمة أن أعرف ما يجب عمله ما دمت لا أستطيعه ؟ (عامر وجدى ١)

فريكيكُو ، لا تلمنى ! (حسنى علام) .

المرايـا

سمعت لأول مرة عن " الرصاصة " فى أول اتصال سمعى بإحدى منجزات الحضارة ... (أنور الحلوانى)

يتذكر مظاهرات ثورة ١٩١٩ فى طفولته .

إنه حى لا يرزق . (فتحى أنيس)

علينا اللعنة جميعًا حتى يوم الدين ! (جاد أبو العلا)

مهما يكن من أمر فلا يمكن تجاهل المرحلة التى قطعها الإنسان من الغابة إلى القمر . (زهران حسونة)

هذا كتاب لا يجرؤ على تأليفه إلا مومس . (زهير كامل)

متنا . متنا . فمتى نبعث ؟ (سالم جبر)

البذاءة فى الكلام كالملح فى الطعام . (سرور عبد الباقى)

بدأت الفلسفة بابن رشد وانتهت بابن كلب . (عدلى المؤذن)

عبد الملك بن مروان ! من هو عبد الملك بن مروان ؟ تستشهد لى بحيوان يا حيوان ! ملعون أبوك أنت وعبد الملك بن مروان ! (عبد الرحمن شعبان)

أوروبا روح الدنيا وأهلها ملائكة الخلق أما من عداهم فهم حيوانات أو حشرات . (عبد الرحمن شعبان)

أيعجبك حقا ذلك المقرئ (...) ؟ رجل ضريرٌ منفر المنظر يزعق كالأبله . قارن ذلك بقداس كاثوليكى تسبح فى جوه الموسيقى الخالدة ! (عبد الرحمن شعبان)

عندى تخمة من السعادة ولكن روحى ظمأى . (وداد رشدى)

الحب تحت المطر

ستظل القبور مكتظة وكذلك المستشفيات ولن يمنعنا ذلك من أن نأكل ونشرب ونتزوج ! (ف ٢٠)

الكرنك

إن وجود الأمعاء بالجسم البشرى لا يقلل من جلال العقل . (إسماعيل الشيخ)

حضرة المحترم

على الأرض تطرح أسرار إلهية لا حصر لها لمن له عين وبصيرة . (ف ٢)

إن الله لم يخلقنا للراحة ولا للطريق القصيرة . (ف ٧) .

بالحزن يتقدس الإنسان ويعد نفسه للفرح الإلهى . (ف ١٩)

لم يعد يبالى بما كان ولا بما هو كائن ولا بما سوف يكون . (ف ٣٨)

حكايات حارتنا

أهم شئ فى هذه الدنيا أن نعرف الحقيقة . (الحكاية رقم ٤٧)

ترى أين جبال الواق ؟ (...) وأين سور الدنيا ؟ وإذا أطل الإنسان منه ، فماذا يجد ؟ (الحكاية رقم ٧٢) .

قلب الليل

هلى يمكن أن يقتنع فرد بضرره فيقرر قتل نفسه ؟ إن الذين يقتلون بدافع من غرائزهم لا حصر لهم ولكن لم يقتل أحد بدافع من تفكيره الخالص النزيه النقى . (ف ٦)

الأمان جميل ولكن فى الحياة أشياء أهم من الأمان . (ف ٧)

الحرافيش

هل يتوارى الضياء والسماء صافية ؟ (شمس الدين ١) .

عندما تستحكم القبضة ولايوجد منفذ واحد للأمل ، تؤمن القلوب القانطة بالمعجزة . (شمس الدين ٦)

(ليت) الأجل يسبق خوْر الرجال ! (شمس الدين ٤٢)

الأسى أثقل من الأرض وأشمل من الهواء . (الحب والقضبان ١٦)

الإنسان لا يتنفس بحرية إلا فى منفى الهجر . (الحب والقضبان ١٦)

البطولة الحقة مثل المسْك تطيب بها النفوس وتهفو إليها الأرواح ولو لم تؤت القدرة على استعمالها . (الحب والقضبان ٤٢)

إفْرحْ عند كل شروق شمس ولا تحزن عند غروبها ! (المطارد ٣٥)

هل بوسعه أن يحول بين المطر وبين أن ينهمر ؟ (شهد الملكة ١٣)

يا لتعاسة القلوب الغافلة ! (شهد الملكة ١٣)

المال يخلق القوة والقوة تخلق المال . (شهد الملكة ٤٩)

فى ذلك الوقت تنكر الجو فى (شهر) برمودة ، فتلبدت السماء بالغيوم على غير ميعاد ، وأنهل مطر غريب ، ثم تساقط وابل من البرد ، فذهل الناس وعجبوا ، ووجفت قلوبهم ، ولكنهم غمغموا حيارى : لعله خير يا رب العالمين ! " (جلال صاحب الجلالة ٣)

تُدرِك الإهانةُ دائما من يتقبلها . (التوت والنبوت ٨)

كيف يَقْنعُ من ينطوى صدره على جذوة دائمة الاشتعال ؟

كيف يقنع من تؤرقه الأحلام الملونة ؟ (التوت والنبوت ٣٩)

عصر الحب

كُتب عليه أن ينظر أملا لا يعود وأن يبحث عن كائن ليس له وجود . (ف ٧)

سيحدث ذات يوم أمر ما . إنه يتوقعه كما يتوقع مريض الفم ضربات ضرسه . (ف ٨)

أفراح القبة

ما أسعد من لا يضيع خفقان قلبه فى العدم ! (كرم يونس)

ماذا أرجو من دنيا لا يعبد فيها الله ؟ (حليمة الكبش)

ليالى ألف ليلة

الوجود أغمض مافى الوجود . (شهريار)

خمارة القط الأسود

عليك ألا تذعن بعد اليوم لديكتاتورية المجموعة الشمسية ! (المتهم) .

تحت المظلة

إن أردت الرحمة قتلناك بلا تحقيق ، وإن أردت العدل قتلناك بعد تحقيق ، وإن أردت الحرية فاقتل نفسك بالوسيلة التى تفضلها ! (المهمة)

إذا انقطع الأمل فعلينا أن نعاشر اليأس معاشرة حسنة . (النجاة) .

تجلت لنا الحقيقة صخرية صلبة مستقلة بذاتها عن الأحلام . (ثلاثة أيام فى اليمن) .

حكاية بلا بداية ولا نهاية

إذا تهاوى بناء شامخ فما جدوى أن تسأل عن حجرة من حجراته ؟ (حكاية بلا بداية ولا نهاية) .

إننى لا شئ ينحدر من لاشئ ، ماضٍ إلى لاشئ . (الرجل الذى فقد ذاكرته مرتين) .

شهر العسل

الحرص على الحياة خليق بأن يضيع الحياة . (شهر العسل)

الجريمة

كل ما يقع ضمن الطبيعة فهو طبيعى ! (الحجرة رقم ١٢)

الحب فوق هضبة الهرم

كيف أعاشر هزيمتى إلى الأبد ؟ (الحب فوق هضبة الهرم)

بودى أن أبصق على كل فكرة خطرت وكل فعل نفذ . (الحب فوق هضبة الهرم)

إذا صدَّك العقل عن السعادة فجرِّبْ الجنون - أليس ذلك من العقل أيضا ؟ (الحب فوق هضبة الهرم)

الشيطان يعظ

ليس أفظع من أن يخلى بين الإنسان ونفسه . (أيوب) .

الإنسان يفوق الحيوان فى شهوة القتل فيقتل نفسه أيضاً . (الحب والقناع) .

علينا أن نستخلص من القمامة جوهرة السعادة المفقودة . (الرجل الثانى) .

رأيت فيما يرى النائم

رايت فيما يرى النائم ..

إن الأرض تتقشر ، وتتشقق . وتتقلص وتموج ، ومن الأعماق تبرز على مهل عمد وأسطح وقباب ، ثم مضى يتجلى وجه مدينة غامرة ، شوارعها محجوبة بالأتربة ، مساكنها متهدمة ، ما بها من قائم سوى المعابد وبعض التماثيل . وتحلقها قوم لا حصر لهم ينظرون ويتحاورون :

- مدينة أثرية جديدة ...

- وثائق لتاريخ جديد .

- ألا يوجد أثر لإنسان ؟

- المقابر لم تكتشف بعد .

ولبثت ما لبثت حتى انتبهت فوجدت نفسي وحيداً . ورحت أخترق شارعها الرئيسي حتى أدركني الليل وأظلتني النجوم . ومزقت السكون صرخة . صرخة أنثى فيما بدا لي . وثمة طيف هرع نحوي حتى جثا بين يدي ، وثمة صوت هتف :

- أنقذني .

سألتها :

- ماذا يتهددك ؟

- سيف الجلاد .

- من أنت ؟

أنا بريئة .

فسألتها بشدة :

- ما تهمتك ؟

- التهمة التى لا يبرأ منها أحد ، حتى أنت ! فقبضت على يدها وأنهضتها ، ثم انطلقنا معا كشهابين فى ظلمة الليل . (الحلم رقم ١٢)

أتحدث إليكم

أعتقد أن كل إنسان يبحث عن السعادة وعن الحقيقة .. ورغبة بعض الناس الشديدة فى السعادة ربما سقطت بهم إلى تحقيقها على حساب الحقيقة .. كما أن رغبة البعض الآخر فى نشدان الحقيقة والبحث عنها ربما كانت على حساب ما يحققونه من سعادة (...) ويبلغ الإنسان مرتبة الكمال عندما يتضح له فى لحظة ما أن الحقيقة كل الحقيقة هى السعادة كل السعادة . (مقابلة مع محمد بركات) .

عن الكاتب (رشيد العنانى)

* أستاذ مشارك الأدب العربى الحديث فى جامعة إكستر البريطانية .

* صدر له بالإنجليزية دراسة شاملة عن أدب نجيب محفوظ بعنوان « البحث عن المعنى » نشرت فى لندن ونيويورك عام ١٩٩٣

* صدر له بالعربية مجموعة مقالات نقدية بعنوان « المعنى المراوغ » نشرت فى القاهرة سنة ١٩٩٣ ضمن سلسلة « كتابات نقدية » التى تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة .

* صدر له فى سلسلة كتاب الهلال سنة ١٩٨٨ دراسة بعنوان « عالم نجيب محفوظ من خلال رواياته » .

* ترجم إلى الإنجليزية رواية « حضرة المحترم » لنجيب محفوظ (لندن ١٩٨٦ ؛ نيويورك ١٩٩٠) وكذلك مسرحية « على جناح التبريزى وتابعه قفه .. لألفريد فرج (القاهرة ١٩٨٩) .

* له بحوث وفصول عديدة منشورة باللغتين العربية والإنجليزية في الدوريات العلمية وغيرها من المطبوعات .

* آخر إصداراته كانت مجموعة من الدراسات النقدية عن نجيب محفوظ بعنوان « نجيب محفوظ : قراءة ما بين السطور » ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٩٥ .

محتويات الكتاب

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٤٤٤٩ / ١٩٩٧

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 235 - 963 - 4)



هذه مختارات كاشفة تلقى الضوء على جوانب مختلفة من الرؤية الفلسفية والإجتماعية والسياسية لنجيب محفوظ .

وهى تتبع تلك الجوانب فى إحاطة مدققة لاتفرق بين رواية وقصة قصيرة . وآراء لمحفوظ فى بعض الأحاديث ونحن فى حاجة إلى تلك المقتبسات التى تتميز بدرجة من الأستقلال خارج سياقها فى الأعمال الفنية .

